علي عبد الواحد

أنين المُهج



للطباعة و النشر و التوزيع


عاصمة الثقافة العربية

أَنِيـــنُ
المُهَـــج



علي عبد الواحد



للطباعة و النشر و التوزيع

الإهـــــــــداء

إلى كلّ من ترعْرعَ في أرض الجراح ، فسُقي بالدّموع ، و أطعم بالألم .....
إلى أمّي ...

إلى صاحب المبادئ و القيم العالية علوّ الجبال : " امعمّر بربريس" .

إلى " سليم سبتي " و صديق العمر " حسان ربعي " ، و كل رفاقي و عائلتي...
إلى كل هؤلاء أرفع قلمي ...

*** علـــي***

* مقــــــــــــــــدمة *

الأدبُ شعرٌ و نثر ...
و قلبي و قلبك يا أخي لحْمٌ و دم ...
و قد حبَّذْتُ أن تكون هذه الصفحات التي هي بين يديك مزيجا من الشّعْر و النثر،ليكون هناك النبض ، و بالتالي تكون للكلمة الحياة و الوقعُ المُميّز في النفس .
فـــأتـــــمنـــــــى أن يكـــــون لكـلـــــماتي هذه نفَــــــسٌ عَطِـــــرٌ تستْطيــــــــــــــــبـُـهُ روحـُــك
أخي القارئ ...

الكاتب

معزُوفة الكتاب بعنوان :

حبـــيبـــةُ الشّاعـــــــر

يَا سائِـلاً عن حَبيبـتِــي تَمَهّلْ كَفَــى

فَقـدْ صَحَا جُرحٌ ، ظَنَنْتُهُ قدْ شَــفَــا

وَ لا تُـذكّرنِــي بيـــوْمِيات الـعَذابْ

و حُـرْقةِ نارِ الهَـوَى ، و عَهْدِ الجَفَا

فالحبُ في مُهْجَتِي طَيْرٌ وديعٌ صغيرْ

جَنَــاحُهُ مِنْ نـــارْ

و رِيشُـــهُ مِنْ نـــورْ

و رأسُـــهُ بُرْكانٌ ثائِـــرٌ و رَعُـــودْ

وَ رُوحُهُ مِســكٌ، و سَلسَبِيلٌ حَبُـورْ

كَذلك ، مَعْشُوقــتِي مَـلاكُ العـــذابْ

كالــحُبِّ مَسْكوبةٌ ...

في قالــبٍ مِنْ سَــرابْ
بَــرقٌ هِي مَحبُوبَتي ، و رَعدٌ و نــارْ
و وَرْدَةٌ حُلـــوةٌ ، مُشهَّدةُ الرّضَابْ
يَــمامــةٌ تَتْلُــو القصائــدَ الحَالمــَـهْ
و لبْوَةٌ تُرهِــبُ الكَواســرَ الحائِمــهْ
في عَينِ مَحْبوبتــي تَرى سَوادَ الدُّجَى
و تلمسُ الصُّبح في رُموشِها الناعِمَهْ
في بَسْمتِها طفــلٌ شَعْــرهُ أصْفــرْ
و مِــنْ شَــذى أنفــاسِها نَسيمُ السَّحَرْ
عَلَى قَفاها تَتدلّــى خُيــوطُ الظّـــلامْ
و في مُحَيّاها ، صَواعِقٌ و ضَجَــرْ
مَحبُوبتي تِلكَ هيْ
رُوحٌ عذبـــةٌ...
مَمْزُوجــةٌ بِلظيً ، لهيبُها يَستَعــرْ

خَـــليطُ بَنـــاتِ الطّبيعـــةِ جِسمُهـــا

ريحٌ و برقٌ و مَوجٌ ثائـرٌ ، و مَطـرْ

أُنشـــودةُ بُلبُلٍ ، و هَمْسةُ نسمــــــةٍ

قِيـثارَةُ عازفٍ زاهٍ ، و زَهْـرٌ عَطِرْ

أصَاحِ : هلْ تقدرُ عَلى هَوَى غادَةٍ ؟

لَيْـسَـــــتْ كَكُــــلِّ البَشَــــــــرْ

لــيســـــت كـكـــل البشـرْ !!!

** مَا أتَـــمُ الحُب **

رنَّ الجرس ، فأتّجه الصغير " ياسين " صَوْب الباب و فتحه ، فتدفقت نسائم المساء باردة ًبعض الشيء إلى الرِّواق ، و امتثل أمامه رجل طويل أسمر ، مُعتدل القدِّ ، ذو عينين حادّتين ، و شفتين رقيقتين كأنهما مرسومتين بريشة رسّام ، و أنفٍ مستقيم تحته شنَبٌ مقصوص بطريقة جيدة ، يرتدي بذلة من طراز رفيع ، و بعدما حدَّق " ياسين " فيه جيِّدا ، تعرف عليه و صاح بأعلى صوت مُردِّدا : عُمر ، عمر يا أمي .. و همَّ به ، فحمله عمر بين ذراعيه ، ثم أقبلت الأم فاتحة ًذراعيها ، و احتضنت ابنها و راحت تعانِقه بحرارة و شوق، و كذلك فعلتْ أخته الصغرى ، ثم دخلوا جميعا إلى غرفة الاستقبال في بهجة و سرور.

- أطلْتَ الغياب هذه المرة يا بني ، فقد فتَّتْتَ كبدي . قالت الأم.

- رغمًا عني يا أماه ، فظروف العمل كما تعلمين،ردّ "عمر".

- كيف حالك ، و حال شُغلك هذا اللّعين الذي حرّمنا منك ؟

ابتسم عمر و قال : بخير و الحمد لله ، ثم نظر إلى " ياسين " و أطلق : و أنت أيّها المُشاغب كيف أحوال دراستك ؟فأجاب الصّغير : إني بالمرتبة الثانية في القسم ؟

- أحسنت ، لكن عليك أن تجتهد أكثر كي تصبح طبيبا كما وعدْتني ثم التفتَ إلى أخته و قال : و أنتِ يا زَهرة ؟

- أنا بخير ، و دراستي كذلك أجابتْ خافضة رأسها قليلا في حياء، ثم قامت لتحضّر قهوة الضيافة لأخيها .

و كذلك بَقوا في بهجة و مُزاح حتى دنا وقت وجبة العشاء، فقامت الأم و ابنتها و حَضّرتا الوجبة ، التي طغتْ عليها المأكولات الشعبية التي كان" عمر " مُولعًا بها منذ صِغره، بينما هو بقي يُتابع الأخبار على التلفاز مُداعبا شعر الصغير

" ياسين " ، ثم حُطَّ الأكل على المائدة فأكلوا ، ثم استسلموا للنوم بعد مُسامرةٍ قصيرة ، على كؤوس الشاي .

كانت تلك العائلة الصغيرة تسكن بمنزل في مخرج المدينة ، بعيدٍ عن الضوضاء ، تُحيط به حديقة جميلة كانت مَحلَّ اهتمام كبير من طرف الأب قبل أن ينتقل إلى رحمة الله ، و كذلك بقيت أم عمر تعتني بها اعتناء بالغا ، حفاظا على ذكرى أب أولادها ، و حنينا إلى طيف ذاك الزوج الحَنون ، فكانت تلك الحديقة المحيطة بالمنزل تزينه مثلما تزين الإسْوارة مِعصم الصبية البضَّة.

استيقظ عمر باكرا على شذْو عصافير الحديقة المستقبلة لِشُعاع الشمس ، النشوانة بنسائم " نيسان " المُعطَّرَة بأريج الزهور البرية الندية ، و بعدما تناولَ الفطور و خرج من المنزل، سار و كلّه شوق لرؤية رفاق الصبا

الذين عاش معهم أحلى الأيام ، فبقيت مكتوبة بحروف ذهبية في قاموس الذكريات ، إنه ذاك الزمن المليء بالسذاجة و الطُّهْر و البراءة ، زمن الطفولة، ما أحلاها تلك اللحظات التي كان يقضيها تارة في الدراسة ، و تارة أخرى في اللهو و المُزاح و التحليق في فضاء الأحلام بأجنحة الأوهام ، بعيدا عن هموم المسؤولية الملقاة على عاتقه الآن ، كونه يشغل وظيفة حكومية كانت من نصيبه ، بعدما أتمّ تعليمه العالي ، و أُعْفِي من واجب الخدمة الوطنية . مَشى و نَعْله المُلمَّعُ تبلّله قطرات الندى ، يتأمّل بهاء الثوب الذي ارتدته الطبيعة ، فخُيّل له أنها تزينتْ هي أيضا لتستقبله حالُها حالُ صَبايا قريته اللواتي امتلأت بهنّ شُرُفات المنازل ، بمجَرّد سماعهن بخبر مَجيء الشاب الذي ذاع صيْته ، و علتْ منزلته بين الناس ، و أصبح حديث العام و الخاص، يُشار إليه بالأصابع، و تفرش أمامه الرياش و النجوم اللوامع !

لكنه رغم كل ذلك ما كان الكِبْرُ رفيقاً له، بل كان بسيطا للغاية ، لا يحب التكلُّف و زخرف الكلام ، و المديح المنمّق ، ينظر بعيْن ثاقبة ، و يتوقَّدُ فطنة و ذكاءً، يميل إلى الفقراء و يُواسي المحزونين و البؤساء .

كانت الغبطة العارمة تملأ قلبَ عمر ، بمجرّد أن رأى صديق عُمْره و رفيق طفولته " عِمَاد " يحمل محفظة ، متوجّها إلى إحدى المدارس التي يعمل بها ، و يسير متصفّحا جريدة من الجرائد اليومية ، فناداه باسمه ، فالتفتَ و بعدما تعرّف على صديقه ألقى بالجريدة و المحفظة على الأرض ، و هرول باسما مُبتهجا ، و لمّا وصل ألقى بنفسه في أحضان " عمر " و راح الرجلان يتعانقان في فرح و سرور ، ثمّ سارا إلى مقهى شعبية ، كانا يختلفان إليها في تلك الأيام الخالية ، أيام الدراسة ، و جلسَا في جوٍّ عامِرٍ بأطياف الذكريات ، مليءٍ بالمُزاح و القهقهة ، بعد ذلك ركبا سيارة

و اتجها إلى مكان هادئ تناولا فيه وجبة الغداء ، ثم انصرفا، كلٌّ إلى شأنه فِرحيْن بذاك اللقاء السعيد .

***

أسدل عمر سِتار النافذة ، و لطّف الجوَّ بعطور شذية ، ثم أطفأ النور، فاجتاحت الظلمة أركان الغرفة ، ثم استلقى على سريره بعدما غيّر ملابسه ليستمتع بإغفاءة القيلولة ، لكنّ طيف تلك الصبية التي تربَّعَتْ على أرجاء قلبه مُذ كان طالبًا جامعيا في عامِهِ الأخير ، قد امتطى شعاعَ النور الذي تسرّب من ثُقبٍ صغير في النافذة ، و امتثل أمامه و راحَ يُخاطِبه بلغةٍ كُلّها لومٌ و عتابٌ قائلا : أيَحقّ لك أن لا تزورني يا قاسي القلب ، أأنسَتك الأيام عَهْدي ، أم هي خليلة بعدي ؟ لمْ يستطع الرجل تبْرئة نفسه ، و أحسّ بالتقصير في حق تلك الفتاة التي بادلتْهُ الحُب أيام الجامعة و عاش معها سنة كانت أيامها دِبْسا مُتقاطرا ، و سُويْعاتُها قطيْرات من

العسل الصافي ، فكان الاثنان لا يكادان يفارقان بعضهما إلاّ عندما يَحِينُ وقت الدّرس ، فكانا مَضرَب المَثل في الحب، و كانا يُلقبَان بكثير و عزّة ، فتارة ً تراهما سائريْن تحت شعاع الشمس و تارة تحت الرّذاذ الخافت ، و طوْراً راكضيْن في بَهْرج و حُبور كطفليْن صغيرين بتلك الحديقة المُحاذية للجامعة . تذكّر " عمر " كيف كان يطعم بأنامله محبوبته، فتطعمه هي أيضا في حُنوّ و رقة ، مثلما تفعل السُّنونوَة بصغيرها . تذكر حلاوة الأيام برفقتها ، و طُعْم تلك الدموع الساخنة التي ذرفتها فتّاتُه البريئة في صبيحة الفراق، حيث تأهب للسفر لاستلام وظيفته بقلب العاصمة، كانت الرابعة صباحا عندما خرج " عمر " من البيت ، فوجدها في انتظاره بين طيّات الظلام ، و النُّسيْمات الباردة تلسع أطرافها و خدودها الطرية ، فلما رآها على تلك الحال أسرع إليها و ألبَسها مِعطفهُ ، فجمدتْ أمامه و أجفانها تنطق بالألم

و الحزن ، و عيناها الحلوتان تفيضان بدموع غزيرة و لِسانها يردّدُ : ما أمرّ الفراق ! لعن الله الفراق !.

فمدّ " عمر " يده ، و مسح دموعَها، و طمْأنها بكلماتٍ عسلية، نسجَ بها ابتسامة لطيفة على شفتيها، فكان مُحيّا الفتاة مزيجا من الحزن و الفرح فبَدَا أبهى من " الجوكوندا " رائعة " ديفنشي " .

بعدئذ أدخلت " لمياء " يدها في جيبها و أخرجت منه ساعة، أهدتْها إياه و قالت : ضعْها بيدك ، كي تتذكرني كُلما نظرتَ إليها ، فأمسكها و وضعها بيده، ثم ودَّعها بكلمات عذبة أطربتها، ثم سار مُتواريا و حقيبَتَه في جلابيب الدجى، بينما هي بقيت تُلوِّح بيدها و تردد : رافقتك السلامة ، رافقتك السلامة.

كانت تلك الذكريات الجميلة السارحة في خيال "عمر" تطرُد عنه النعاس، و تحركه شيئا فشيئا إلى أنْ قفز من

سريره ، و ارْتدى ثيابه بسرعة و غادر المنزل كي يطمئن على حال لمياء مُمتطيا سيارته ، سائقا إياها بسرعة جنونية إلى أن وصل إلى الجامعة التي تدْرس بها ، فأوقف سيارته في إحدى الزوايا ، و بقي يترقب فتاتَهُ بلهْفةٍ بين زحام الطلبة بعينين يقظتين متواريتين خلف نظارة سوداء . مرَّت من الوقت ساعة، لكن لا أثر للفتاة ، فبدأ القلق يتهاطلُ على " عمر " لكنه قاومه بالصَّبر، مرَّتْ ساعة أخرى و ساعتان ، فهمَّ بمغادرة المكان يائسا من لُقياها، لكنَّ الأمل كبَحه، و الشوق ردّهُ، و جُعبة الشوق في صدر الإنسان مثل سدٍّ عظيم، يمتلأ انطلاقا من حَبَّة غيثٍ واحدة ، فإذا اشتدت عليه الأمطار امتلأ حتى العُنق ، ثم فاض فجرَف كل ما حاول سَدَّ طريقه ، و ربما جرَف جُدرانه إن كانتْ هشَّة! كذلك الشوق إذا بلغ ذُروته انفجرت جُعبته و فجّرت معها الذات،فتصبح عبارة عن شظايا مترامية من شتى العواطف !!

انتظر "عمر" و انتظر حتى ملَّ الإنتظار و ملّه ، كانت الساعة تشير إلى الرابعة و النصف مساءً، و صوت داخلي منبعثٌ من أعماقه لا يزال يقول: انتظر يا رجل ، لا تفقد الأمل ...

نزل عمر من سيارته ، و راح يتمطى ، لقد أنهكه الانتظار و زاده القلق. في تلك اللّحظات طلعتْ مِن الباب الرئيسي للجامعة فتاةٌ تمشي مُتسارعة ، خافضة رأسها حاملة في يسراها محفظة صغيرة ، فلما رآها "عمر" استقام و عاد إليه نشاطه، و وقف مُحدّقا إليها حتى قطع الشك باليقين ، إنها "لمياء" بشحْمها و لحمها و مشيتها ، إذ ذاك تلألأ ثغرهُ بابتسامة جميلة ، و حرّكتْ خُطاهُ قوة خفية باتجاهها ، ثم تراجع قليلا ليفاجئها ، كان يبدو له ذلك أحسن ، فاختفى عن نظرها حتى مَرَّت ثم راح يسير خلفها عِلماً منه أنها لا تنتظر خلفها إلا عند الضرورة ، و لمّا همّتْ بالاستدارة إلى النّهْج

المؤدِّي إلى الحي الجامعي ، تقدم إليها و ضربَها بلُطف على كتفها فالتفتت و كأنها لبؤة مكشِّرة عن أنيابها ، فبمجرّد أن رأته ، دقَّقت النظر فيه جيدا ، فلمَّا عرفته و هو بدوره ابتسم ، تحولت تلك اللبؤة إلى مَهاةٍ وديعةٍ ، و بدون أن تشعر الصبية مدّت ذراعيها لِتُعانقه ، فسقطت محفظتها على الأرض لكنها سرعان ما تداركتْ نفسها عند سماعها صدى وَقع المحفظة على الأرض ، فأعادت ذراعيها إلى وضعيتهما الأولى ، فأدرك عمر أنها مخدرة بالحب ، فضحك...، لقد تمنّت المسكينة لو أنها عانقته و ضمّته بحرارة ، تمنّت لو أنها تشقّ صدرها و تدخله به ، ثم تُقفل بإحكام ، تمنّتْ لو كانت زوجة له في بيته فتستقبله بجُنونٍ مُباح ،ثمّ تُبْحر معه في أوقيانُوس ما له ساحل !.

في تلك اللحظات كانت شِفاه الحبيبيْن مبتسمة ، و العيون

مُتحاورة ، فتارةً شوقٌ ، و تارة لومٌ و عتاب، و طورا بوحٌ بالحب و الصّبابة ،كانت جفون لمياء الطويلة تنطبق بِلطف، فأحسَّ عمر كأن أناملا خفية تعصر قلبه، ثم تملؤه بشوق شبيه بشوق التائه في صَهْد البيداء القاحلة إلى الإرتماء في البحر، فقرر التحرّر من لغة الصمت المشفرة ، و بادر قائلا:

- مفاجأة ، أليس كذلك ؟

- سحقتَ فؤادي ، ردَّت "لمياء" ثم أخفضت رأسها قليلا خجلا، فتورّدتْ وجنتاها .

و الفتاة الأوراسية بعُيونها الواسعة المستديرة و رموشها الكحيلة، يعمل الخجل بخدودها عمل النسيمات الباردة ، التي تلثمُها عند الصباح ،فتصبح وجنتها كوريقة من وُريقات ورود الربيع التي روِّيتْ بماءٍ مَنْهلٍ صافٍ يتفجَّر من كبد الأرض .

الفتاة الأوراسية تحمل في عينيها بريقاً خاصا ، يخترق

الصدور و الأفئدة و روحا عذبة مُعطَّرة بشذى أرواح الشهداء الحائمة في سماء الحرية ، و تتميز بتلك المَسْحَة الطاهرة من الحياء التي تزينها ، كما يزين الإقدام شُبّان تلك الأرض و الوقار شيوخها .

بعد ذلك سار العاشقان جنبا إلى جنب، و السعادة تملأ قلبيهما إلى أن وصلا إلى مخرج المدينة حيث ينام مَرَجٌ أخضر ، ثم جلسا على صخرة عجوز ، يتشاكيان عذاب البعاد بكلمات أنتشت لها الصخرة ، فتطيّبَت عِظامُها بعِطر الشباب، و راحت طيور المساء تُحلق فوق رأسيهما ، و تنشّد ألحانا جميلة .

كان الزمن يركض بسرعة البرق ، و "عمر" و "لمياء" لا يزالان في جلسة لا شعورية عفيفة ، لكن السماء لم يَخْفَ عنها أمرُهُما ، فقد كانت تترقب همسَهما و نظراتهما في هِمّة، فنبَّهَتْهُما إلى أوان وقت الرّوَاح ، فبان الشفق من وراء

السلسلة الجبلية ، و كأنه حُمْرَةَ الخجل على وجه الصبية.
قام إذ ذاك العاشقان ، و عادا أدراجهما ، و كان الليل قد بدأ يَحُوك للكون بخيوطِه السّوداء الرفيعة ثوب الهُجوع ، و النجوم بدأت تطلع لِتُرَقش ذاك الثوب ، فيبدو لمّاعا ساحرًا، و لما وصلا إلى نقطة الإفتراق حيث اقتربت الفتاة من الحي الجامعي ، ودّعها "عمر" بكلمات عذبة رقيقة فودّعته هي بدورها بالمِثل ، بعدما نالا بعض حَظّهما من الزمن ، و تواعدا على إجراء حفل الخُطوبة الخميس المقبل .

***

أمضى "عمر" بضع أيام بين ذويه و أحبائه ، مرتاح البال، مستمتِعا بأهنإ العيش ، مُترقبا يوم الخطوبة بفارغ الصبر ، و لما جاءت صبيحة الخميس الموعود ، استيقظ باكرا و ارتدى بذلة أنيقة بعدما أخذ حَمَّامَا ساخنا، ثم وقف أمام المرآة و رشّ قليلا من عِطر فرنسي على أثوابه ،

و راح يُمرِّر المِشط على شعر رأسه و هو مبتسمٌ،مردِّدً
بعض الأغاني التي تنِم عن الفرحة و السعادة ، بعد ذلك
توجّه إلى قاعة الاستقبال فوجد أمَّه و أختَه و أخوه الأصغر
في انتظاره فحيّاهم بتحية الصباح ، فمَدّت الأم يَدَها و سوّت
رباط عُنقه ، و ردَّتْ مبتسمة و بنوع من المداعبة قائلة :
صباح الخير يا عريس ، فضحك و قال : هيا بنا ، فقد حان
الوقت .

عندئذ خرج الجميع حاملين لوازم الخطوبة و ركبوا السيارة
غارقين في موجة من البهجة و السرور ، و بين الفينة
و الأخرى كانت الأمّ تطلق زغرودة مُعبِّرة بها عن بلوغها
ذروة الفرحة ، و هم كذلك في تصفيق و هُتاف و حُبور إلى
أن و صلوا إلى بيت الفتاة ، فأوقف عمر السيارة ثم نزل
و سار صوب الباب ، و ضغط على زر الجرس فرنّ ،
انتظر قليلا ثم ضغط ثانية لكن لم يُجب أحد. عاودَ الكَرَّة لكن

لا حياة لمن تنادي ، أيُعقل أن يكونوا نِياما خاصة في مثل هذا اليوم و الساعة تشير إلى التاسعة صباحا ؟ هل حدث طارئ؟.

راحت التساؤلات و الوَسَاوسُ تزحف إلى رأس عمر ، لكنه بقي يطرق الباب بشدة ، لكن لم يرد عليه سِوى صَدَى الطرْق المنبعث من جدران المنزل، فلما يئس عاد أدراجه ، و غيمة" من الحيرة و الحزن تُغطي وجهه فركب السيارة و أغلق بابها بعنف معبِّرا عن السّخْط الذي بَدَأ يُحرّك أعضاءه و راح يردد : غريب أمرهم ، ثم أقلع بجنون و سار بسرعة مُمِيتة يلعَنُ حَظّهُ ، فراحت الأم تُهدّئه لكن الغضب بقي يحرِّكهُ مثلما تحرِّك الرياح مياه البحر و تشكلها مَوْجًا غضوبا يُرغي و يُزبّد ، و كذلك بقي إلى أن وصلوا إلى منزلهم النائم في مخرج المدينة ، فنزل من السيارة و حمل تلك اللوازم التي أحضرها لإجراء حفل الخطوبة و ألقاها

على الأرض و راح يدُوسها ، و يرمي بها في الفضاء حَنِقا هائجًا ، بعد ذلك دخل المنزل وَ ولَج باب غرفته و أغلق الباب بإحكام ، ثم حمل سماعة الهاتف و راح يضغط على الأرقام ، مطلقا زفراتٍ متتالية مُحاولا بها دَحْرَ الغضب من صدره ثم أطلق : ـ ألو ، سي أحمد صباح الخير، احجزْ لي تذكرة سفر على متن أول طائرة متجهة نحو العاصمة هذا المساء ، شكرا مع السلامة.

وضع السماعة و استلقى على سريره ، حينئذ لحِقت الأم و راحت تدقّ الباب قائلة : إفتح الباب يا بني أنا أمّك ، فرقّ لحالها و قام و فتح الباب ، فدخلت و الدموع تبَلّل أحداقها و راحت تردد : لا تقلق يا فلذة كبدي ، فكلُّ شيء مكتوب، كل شيء بقضاء و قدر ، و كذلك بقيت معه تستلطفه و تعِظه إلى أن قرُب وقت الغداء ، فقامت لِتُحضّر الوجبة رفقة ابنتها، أما عمر بقي واجماً كاسف البال ، يحرق صدره

بدخان سجائر متتالية و لما فرغت الأم من تحضير الغداء ، نادته فقام لا رغبةً منه في الأكل ،بل احتراما لِأمِّه ، فغسل وجهه و جلس مع أمه و إخوته و أكل معهم بعض اللُّقم رغْماً عنه ، ثم انصرف إلى غرفته واتكأ على سريره دون أن ينزع بذلته و لا نعْله ، و بقي مستغرقا في التفكير إلى أن مدّ النعاس يده و أغمض جفون الرجل في هدوء ، و بعد ساعة و بعض دقائق استيقظ فقام و خرج من المنزل خِلسة ، و اتجه نحو المطار أين امتطى الطائرة بعد ساعة من الإنتظار، أحرق فيها ما يزيد عن علبة سجائر ، مُحاولا خنق الغضب في صدره بتلك الأنفاس الدخانية المُميتة؟

كانت الطائرة تطوي الأفق طيًّا ، و الحزن يسحق مُهْجة عمر سَحقا ، و قد حاول أن يطرد تلك الكآبة عن نفسه ، لكن مَنابعها أبتْ أن تجفّ ، و كان يتساءلُ في قرارَةِ نفسه ، أيُعقل أن يجد الرجل باب محبوبته مُوصَدًا في يوم موعد الخطوبة؟ هل هي ريحُ القدر قد هبَّت لتقلب الموازين ، أم أن

الحياة بدأت تهتفُ : ليس كل ما يتمناه المرء يدركه * و كذلك بقي عمر يسائل نفسه و يجيبها ، و تارة لا يجد الجواب إلى أن سمع المظيفة تقول : شدّوا أحزمتكم جيدا من فضلكم ، بعد خمس دقائق تكونون على مطار "هواري بومدين" الدولي ، درجة الحرارة30 . و ما هي إلا دقائق حتى حطّت الطائرة ، فنزل"عمر" و بقي في قاعة الانتظار في صراع بين التساؤلات و أدخنة السجائر إلى أنْ وصلت سيارة العمل التي طلبها ، فركبها و بقي واجما ، لا سلام و لا كلام حتى استغرب السائق أمْرَهُ فقد اعتاده مَرِحًا طَرُوبًا، فأراد أن يستفسر عن الأمر ، لكنَّ الحياء غلبه ، فادّخر فضوله إلى وقت مناسب، و راح يسوق في تُؤَدَةٍ إلى أن وصل إلى مقر العمل .

***

* الشطر الأول لبيت شعري معروف.

كانتْ لمياء فتاة متحجِّبة متخلقة، جميلة المُحيّا ، بعينين سوداوين و أنف مستقيم و ابتسامة وضّاءة ، و ملامح جذّابة تهزّ الأفئدة كما تهزُّ نسيمات السَّحَر مياه البحيرة ، تقطن رفقة أمها في نفس القرية التي يقطن بها عمر ، و كان أبوها يعمل بإحدى البلدان الأوروبية ، ثم انتقل إلى رحمة الله بعد حادث عمل خطير أدّى إلى هلاكِه ، و كانت إذْ ذاكَ "لمياء" بنت السبع سنوات ، في الطور الابتدائي بالمدرسة ، فتربَّت اليتيمة في حُضن أمِّها التي كانت تتقاضى مِنحة زوجها ، فعاشتا مسْتورتيْن ، و راحت الصغيرة تنمو شيئا فشيئا في كَنَفِ أمِّها ، حالُها حالُ بُرعُم صغير في ظل شجرة جميلة مُخضرّة ، إلى أن بلغت الثامنة عشر من عمرها ، فتفتّحتْ أكثر و ازدادت بهاءً على بهاء، و التحقت بالجامعة التي تبعد عن قريتها ببضع الكيلومترات ، و احتلّتْ غرفة بالحي الجامعي رفقة إحدى زميلاتها من نفس القرية ، فكانتا

تـغدُوَان سويًّا كل سَبتٍ إلى الجامعة و لا تعُودان إلى قريتهما إلا في نهاية الأسبوع ، حيث تقضي كل منهما تلك العطلة القصيرة المَدى رفقة العائلة ، ثم تعودان من جديد في صبيحة يوم السبت إلى الحي الجامعي و منه إلى قاعات الدرس، فتنْكبّان على التعلم و الإطلاع .

في إحدى الأمسيات ، نظمت إدارة الج .عة حفلا بهيجا بإحدى القاعات الفسيحة ، فاكتظّت السُدَرَّجات بالبنين و البنات، و كان الحفل عبارة عن استعراض لمواهب الطلبة و الطالبات ، من مسرح و غناء شعبي و تلحين لموشّحات أندلسية ، و تنكيت و أشعار ...الخ ، و في نهاية الحفل سُلّمَتْ جوائزٌ لأحسن الأعمال و أحلى المواهب ، فكانت جائزة أحلى كلام شعري من نصيب الثنائي "عمر" و "لمياء" ، أما

عمر بقصيدته *الحياة* التي يقول فيها:

أنا ما كنتُ أعرفُ عنكْ

سِوى أنّكِ أعَرْتِ للبحر

قليلاً مِنْ زُرْقة عيْنيكْ

أنا ما كنتُ أعرفُ عنكْ

سِوى أنّك مَددْتِ الشّمسَ

بقليلٍ مِنْ خُيُوطِ شَعْرِكْ

أنا ما كنتُ أعرفُ عنكْ

سِوَى أنّك غزَوْتِ قلبي

بِعَرَمْرَمِ جَيْشِكْ

أنا ما كنْتَ أعْرفُ

أنَّ ذاكَ الجَمالَ السّاحِرَ

لمْ يَكنْ سِوى قِناعًا

وَضَعْتِهِ علَى وجْهِكْ

كَيْ تَقْذِفِيني وَ قلْبي

إلى أعْماق بَحْرِكْ
لقدْ انْخَدعتُ فيكِ
يَا صاحِبة اللّثامْ
يا يَمامة ً بمَخالِبِ نسْرٍ حَوّامْ
و يا ظبْيــة ً...
بأنْيابِ هُمَامْ
أيّتُها الحياة :
كمْ انْتَشى قلبي بسِحْرِكْ
و كم استَحَمّتْ رُوحِي بجَمالِكْ
و كم تمرّغتُ في حَلاوتكْ
مُتعاميــًا...
عن أشواكِك و أهْوالِكْ
إلى أنْ وقعْتُ في شِباكِكْ
فأنَا اليَوْمَ وَحِيدٌ

لا أنِيسَ لِــي...

غَيْرَ ورَقةٍ بيْضاءْ

و قلمٍ يَكتبُ للأنَامِ عنْ كَيْدكْ

أيّتها الحياة:

أيتها الحِرْباء المُتلوّنة !

أيتها الوردة المُواريَةُ للأشـواكْ

هَلاّ ظهَرْتِ على حَقيقـتكْ

و هلا أزَحْتِ عنكِ بُرقُعَكْ

فقدْ عَرفتُكِ و فَهمْتكْ !!

أما لمياء فبقصيدتها "يا بلبلي" التي تقول فيها :

يا بُلبُلــي...

غرِّدْ و أطربْني بأشجَى الألحانْ

يا بُلبُلـــي

سَافِرْ في الفضـاء و امْلأِ الأثيـرْ

زهْوًا و لحْنًا رنّانْ

ثم ارْجعْ إليَّ و رفرفْ فوْقي و احْكِ لِي

عن أسْرار تِلكَ الآفاقْ

و عنْ جزيرَةِ الهَوَى

وَ روْضـةِ العُشّاقْ

حَدِّثني عَنْ مَائِها و عُشْبها و زَهْرِهَـا

مِنْ يَاسَمينِ أبْيَضٍ لِأقحُوانْ

وَ انْسجْ لِي جَنَاحًا مِنَ الحانكْ

ثُمّ انْفخْ في شُرْيانِي مِنْ شذَى أنْفاسكْ

و ذَرْ فؤادِي يَنْتَفِخْ و يَنْتَفِخْ

حتّى يكادُ ينْفجرْ

لكنّهُ لا ينْفجرْ

بَلْ يرفعُنِي عن أدِيـم الأرْضْ

وَ يقذِفني تحْتَ جَناحِكْ

حيْثُ الأمَانْ

فنرْحَلُ مَعًا إلى جَزيرَةِ الهَوَى

مُحلّقيْنِ فوْقَ مُرُوجٍ وَ وِدْيانْ

و عِنْدَما نَـصِلُ...

نجْلسُ كَطِفلَيْنِ عَلى ضِفافِ الغُـدْرانْ

و نَقطفُ وُرودًا مِنْ شَتّى الألوانْ

فَنصْنَعُ بهَا عُقودًا و تِيجانْ

وَ نُهدِيهَا...

لِمَعْشَرَ المُحِبين

أبْنـاءِ الليلْ

وَ رفاقِ السُّهادِ و الأحْزانْ

يا بُلبُـلي ...

غَرِّدْ و املأْ حَياتي بَهْجةً

وَ عَطِّرْ أيّامــي...

بعَبير الزّنبق و البنفسَجْ و الرَّيْحانْ

يا بُلبُلـــي... غَـــرِّد...

و لا تَكْتَرِثْ بهُمُومْ الزّمانْ

فالكُلّ لا مَحَالَة فَـانْ.

ما كان "عمر" يعرفـُ"لمياء" من قبلُ، لكن رُوحًا خفيّة أدْنتْهما من بعضهما البعض، كما كانت تلك الجائزة فرصة للتقرّب أكثر، و تبادل النظرات و الابتسامات ، و بمُرور الأيام تطوّرت الصداقة إلى إحساس أسْمى و أنبل ، ذلك الإحساس الذي يحمِلكَ بأصابع خفيّةٍ إلى عالم غير هذا العالم، عالمٌ كلّه حلاوةٌ و صفاء، شبيهٌ بروْضة الأحلام ، ذلك الإحساس الذي يجعلك تطيرُ إلى جزيرة جميلة خضراء ، لا بها إنسي أو جني، و لا بها ما يُعَكّر صَفْوَ الأيام ، إنه عالم الخيال المُزْدان بزهور الحب الفَتِيّةِ المُخضَلّة.

فكان "عمر" و"لمياء" يلتقيان كل يوم تقريبا و لا يكادان

يفارقان بعضهما البعض، فتارةً تراهما جالسيْن سَويًّا تحت ظل شجرة ، و تارة سائريْن تحت الرّذاذ الخافت و طوْرًا يتضاحكان و يُقهقهان، فأصبح إسمهما على كل الألسنة.
و كذلك راحت أيامهما تسير بسرعة في موكب الحياة إلى أن جاء يوم الفراق بعد مُرور عام كان مِثل قالب من الشَّهْد في طبَق ذهبي، لقد أتمَّ عمر دراسته ، ثم رَحَل عن قريته لأداء واجب الخدمة الوطنية تاركا وراءه فتاتَهُ تتمرّغُ وحيدةً في مزرعة من الأشواك ، أشواك الفراق التي تَخِزُهَا في كلّ آونة، فتغسِل جراحها بتلك الدموع التي تتساقط على وجنتيها مثلما تتساقط قطراتُ النّدى على وُريقات الورود.
فكانت تُطبّق جُفونها لتعيش على الذكرى و لو للحظات ، و رغم أنها كانت تعلم أنه سَيُعفى و سوف يعود بعد أيام معْدودةٍ فقط،كونَهُ يُعاني من مرض القلب، كانت تتألم لفراقه و تدعو الله صباحا و مساءً له بالعودة سالماً في أقرب وقت.

إنه الحُبّ أيّها الناس، و إنها الفتاة الأوراسية الهشّة القلب الرقيقة المشاعر. الفتاة الأوراسية يا صاح بنْت الطبيعة، ورثتْ من الجبال شُموخَها و كبرياءَها، و من الثلوج صفاءَ القلب و نقاء السريرة و من النّفحَات العطِرة و المناهِل المُتدفّقة بالماء الصّفي رُوحًا عذبة خفيفة، و من سواد الليل لونَ جُفونها و أحداقها.

الصّبية الأوراسية إذا لمسَ قلبَها نورُ الحب ارتجف مثلما ترتجفُ زهرة اللوز أمام نسيْمة الصباح، فتَرَى على وجهها مَسْحَةً مُتميزة، و في عينيها السّوداوين الكبيرتين أطياف الحُب مُختالة في وضوح .

نعم لقد تركها عمر تتخبط بين بَرَاثِنِ الفراق و الشوق وحيدَةً، لكنه كان يُراسلها و يُطَمّئنهَا على أحواله، فكانت تنتظر رسائله في آخر كل أسبوع كالجالس على الجَمْر ، و ما هُو إلا شهر و عشرة أيام و رَجَعَ عمر إلى قريته، لقد

أعْفِي من أداء واجب الخِدمة الوطنية نظرا للصّدمات القلبية التي كان يُعاني منها من حين لآخر ، فكانت تلك العودة المَيمُونة بالنسبة للمْياء بمثابة ينبوع صافٍ رقراق اهتدتْ إليه بعد طول تيهٍ في صحراء بَلقع، لكن شاءت الأقدار أن تحمل "عمر" ثانية تحت جناحِها إلى قلب العاصمة حيث مَقرّ عمَلِه الذي طَلَبَهُ ، و كان ذلك بعد قضائه شهرين فقط بين أهله و ذويه.

هذا عن "المياء"، أما عن صديقتها التي تُدعى "جميلة" فقد كانت جميلة حقاً ، فاتنة القدّ تميلُ إلى ارتداء السراويل النسوية الفضفاضة و تُحَبّذ ترْك خصلات شعْرها تسْبحُ في الفضاء ، فتأخذها النسيماتُ في كلّ الاتجاهات ، تمشي في اختيال و تملأ صدْرها نرجسِيةً زائدة ، و تكسُو وجهَهَا على مَدَار السنة طبقةً سميكةً من المساحيق و الألوان ، تَرَعْرَعَتْ مُدَلّلةً في كنفِ عائلةٍ ورثتْ المجْد و الثّراءَ أباً

عن جدّ ، قليلة الحياء عكس "المياء" ، فهي تُمازِحُ كل من
هب و دبّ ، و تضحك و تُقهْقِهُ لأتفَهِ الأسباب ، و كانت
صديقة ثقيلة نوعاً ما على "المياء" ، لكن هذه الأخيرة
احتملتها كونَها من نفس قريتها و تدرُسان بالجامعة في نفس
القسم ، و رغم كل ذلك كانت "المياء" ساذجة معها ، فقد
كانت تُقْضي لها بكل أسرارها و بأدقّ التفاصيل ، كمواعيد
اللقاء بِـ "عمر" و مختلف طموحاتها و أحلامها التي يشاركها
فيها "عمر" ، و لقد استغلّت "جميلة" سذاجة "المياء" و
طيبَتها ، فمنذ أن علمت بنيل "عمر" وظيفة حكومية مَرْمُوقة
راحت تُخَطط كي تَمْحِي "لمياء" من حياته ثم تظفر به
وحدها ضاربة بالأخلاق و المبادئ عرض الحائط ، و كي
تضمن عيش الرّخاء الذي هو مَبْلَغ هَمِّها ، خاصة بجانب
رجل تتوفر فيه كلّ الصفات التي تجعل أي فتاة تَفْتتنُ به ،
عمَلا بنصائح أمهـــا التي نقشتْها في ذاكرتهـــــــــــــــــا ،

و التي كانت تقول لها دائما أن المجد و المال هما السعادة!.
كانت أول خطوة قامت بها "جُميلة" هي أنها توجّهت إلى منزل رفيقتها "لمياء" مع أولى خيوط نور الصباح من يوم الخميس الذي تواعد فيه "عمر" و "لمياء" بإجراء حفل الخطوبة، كانت مرتدية ثياب النّوم . دقت الباب ففتحت لها "لمياء" مذعورةً، فدخلت متظاهرة أنها جدٌّ قلقة ، زاعمة أن أحد الجيران أخبرها أن "عمر" قد نُقل على جناح السرعة إلى المستشفى إثر صدمة قلبية.
هوى ذاك الخبر على قلب "لمياء" مثل ضربة خنجر ، فارتدت ثيابها و نزلت مسرعة رفقة أمّهَا متوجّهتَين إلى المستشفى للاطمئنان على صحة "عمر" ، و لما وصلتا بحثتا عنه في قسم الاستعجالات و باقي الأقسام لكن لا أثر له، بعد ذلك ذهبتا إلى مستشفى آخر يبعد عن القرية ببعض الكيلومترات ظنا منهما أنه نُقل إلى ذاك المستشفى ، حيث

يعمل أكَفَأ الأطباء، ففتّشَتّا عنه كذلك في كل الأقسام لكنهما لم يعثرا عليه، فعادَتا أدراجهما مستغربتين مُتَحَيِّرَتين بعدما مرَّ من الزمن ما يَرْبُو عن نِصْفِ نَهار.

كان ذلك الوقت كافيا كي تُنَفّذ "جميلة" خُطّتَها على أحسَن ما يرام، و بالفعل وَجَّهتْ كُلاّ من "عمر" و "المياء" في اتجاهين متعاكسين، فعُمر توجّه إلى بيت محبوبته على نية الاحتفال بالخطوبة الرسمية فوجد الأبواب مُوصَدَة في وجهه، فعاد أدراجه حَنِقا غاضبا و طار إلى العاصمة، أما "لمياء" فقد أوهمتْها صديقتها "جميلة" أنّ حبيبها في حالة مَرَضيّة خطيرة تستدْعي الاطمئنان عليه، فقامت بواجبها تجاهه، و راحت تبحث عنه في أقسام الاستشفاء، فلم تجد له أثرا ، و هكذا شتّتَتْ تلك الكذبة الحبيبين في لحظة واحدة، لكن "المياء" بعدما وصلت هي و أمها إلى المنزل لم يهدأ لها بال ، فاتجهت إلى منزل "عمر" ، فقُوبِلتْ بالطرد من طرف

أم عمر، كانت امرأة أمّية لكنّها طيبة القلب، لقد أساءت الظن بلمياء، و لم تترك لها فرصة للحديث، فعادت البريئة إلى دارها و الدموع تبلل خمارها ، و ارْتَمَتْ على صدر أمها مُحتارة من هذا الزمن المتقلب.

مرّت أربعة أسابيع إلا قليلا و "عمر" في مقر عمله، و لقد أنسَتْهُ مشاغلهُ بعض همومه ، لم يحاول فيها الاتصال بلمياء، و قرر أن يقاطعها إلى الأبد ، لقد أساء هو أيضا بها الظن باعتباره غَلقها لباب منزلها في وجهه يوم موعد الخطوبة إهانة ما لها نظير له و لعائلته، و تعبيرٌ صريح عن رفضها كي يكون لها زوجا، أما "لمياء" فقد تأثرت بذاك الطرد الذي قوبلت به من طرف أمِّ عمر و أحسّت أنّها غير مرغوب فيها، فسلمت أمرها لخالقها و راحت تسير في موكب الأيام ، أغلب الوقت تكون فيه باكية ، فلا تجد من يكفكفُ دموعها سوى أمها التي كانت دوما بجانبها تؤنسها و تزرع في

فؤادها بذور الصبر، و لقد سألت عن "جميلة" كي تخبرها عمَّا جرى لها لكن أهلها أخبروها أنّ "جميلة" سافرت إلى عمتها بمدينة مجاورة لغرض التفسح و كسْر روتين الحياة الجامعية .

و في يوم من الأيام بينما كان "عمر" جالسا بمكتبه، كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحا و كان قد شرب قهوته و تصفَّحَ الجريدة، هزَّت الصَّبَابة فُؤادَهُ هزّاً عنيفا و شدّةُ الحنين إلى أيامه مع "لمياء" و تذكر ابتسامتها و كلامها و حركاتها فتنَهّد و لم يكد يشعر حتى رفع سماعة الهاتف و أزمَعَ أن يكلّمَها ، في تلك اللّحظة دُقَّ الباب ثلاث مرات فوضع سماعة الهاتف و أطلق: - تفضّل.

فدخلت السكرتيرة و أخبرته أنه قد وصلته رسالة عن طريق البريد السريع فأمرها بإحضارها فأحضرتها و انصرفت ، و لما فتحها وجد مكتوب عليها :

* بسم الله الرحمن الرحيم*

يا صاحب الرِّفعة و المقام العالي :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته،و بعد:

بَلَغَنا أيّها الساكن في قلوب كلّ أبناء قريتكم، أنكم عازمون على إتمام نصف دينكم في أقرب الآجال، و ذاك طبعا (عين العقل) *، لكني أرى كرجُل غيور على شرفكم أنكم أخطأتم في اختيار نصفكم الآخر ، هذا ليس قولا فقط و لا زورٌ و لا بهتان، بل لدينا الدليل و البرهانْ و في الصورة المُرفقة البيانْ. و في الختام نتمنى لكم السُّمُو في سماء المجد، حتى بلوغ الفرْقد ،و السلام .

إمضاء

"فاعل خير"

* من الأمثال العربية.

لما قرأ"عمر" تلك الكلمات غَلَى الدّم في عروقه، ثم أمسك الظرف مُرتجفا و أخرج منه الصورة المُرفقة، و تمعّن فيها جيدا ، فرأى ما لم يكن يتوقّعه حتى في الأحلام، فكاد أن يُجنّ،لقد وجد صورة ً للمياء و هي عارية جالسة بمحاذاة رجل مُبهم الملامح، فأطلق: خائنة، لعينة!.

و صرخ صرخة مدوّية و سقط، فسمعت السكرتيرة الصرخة فدخلت فوجدته مُغْمىً عليه، فخرجت مسرعة و أخبرت كل من صادفها ، فتسابق الموظفون و حَملوه على جناح السرعة إلى المستشفى.

كانت فكرة الرسالة الخطوة الثانية من الخُطّة الجهنمية التي رسمتها "جميلة" من أجل إبعاد "لمياء" نهائيا عن "عمر" ، لقد كانت هي صاحبة الرسالة و قد بعثتها باسم رجل مجهول كي لا تترك مجالا للشك في صدر"عمر" ، أما عن الصورة التي بعثتها مُرفقة بالرسالة كانت صورة مُصطنعة، فبما أنّ

"جميلة" كانت صديقة جدّ قريبةٍ إلى "المياء"، دارية ّ بكلِّ أسرارها ، حدَث و أن التقطت معها صورة تذكارية باسم تلك الصداقة في إحدى المناسبات السعيدة .

و بطبيعة الحال احتفظت كل منهما بنسخة في منزلها للذكرى، كانت تلك الصورة التي بقيت بِحوْزَة جميلة مفتاح الخطوة الثانية من خُطتها لِطرد "المياء" مذمومة من حياة "عمر"، كيف كان ذلك؟

لقد قصّت "جميلة" من الصورة قُصاصة تحمل وجه "المياء" و شعرها و رقبتها، ثم أقدمت على إحدى المجلات الأجنبية الخليعة، و قصَّت كذلك منها قصاصة أخرى تَحْمِل جسد امرأة عارية تماما دون رأسها، ثمّ ألصقت القصاصة المُصوَّر عليها رأس "المياء" ، و رقبتها بالقصاصة المُصوّر عليها جسد المرأة العارية، ثم ألصقت بتلك الصورة صورة أخرى قصتها من نفس المجلة لِرجُل مُبْهم الملامح ،مُجَرّد

من جُلِّ ملابسه، و باستعمال فنيات التصوير و تقنيات الإعلام الآلي استطاعت أن تحصل على صورة للمياه و هي عارية بجانب رجل شبه عار ، ثمّ سارعتْ مغتبطة ببعْث رسالتها القنبلة إلى "عمر" المتواجد بقلب العاصمة، و بالفعل قد وصلت و انفجرت و حدثَ ما أسلفنا ذكره.

***

بعد أسبوع استعاد "عمر" عافيته، و عادت المياه إلى مَجاريها ، بعدما قضى يومين بالمستشفى ، أما الخمسة الباقية قضاها في التنزّهِ في الحدائق الجميلة و الأماكن الخضراء حيث الورد الفواح و على شاطئ البحر حيث النسيم العليل الذي ينعش الأرواح ، و ذلك عملا بالنصائح التي قدمها الطبيب له، لقد عاد إلى عمله، فتوَافدَ عليه الأصدقاء بالهدايا و باقات الوَرْد مُهنّئينَ إياه بالسلامة، فشكرهم على ذاك الاهتمام البالغ به.

و في صباح اليوم الثامن بينما كان "عمر" واقفا في مكتبه عند النافذة يتفرّج على مباني العاصمة الشامخة، و البواخر التي تَمْخُرُ موج البحر العظيم اللامُتناهي، إذ دُقّ الباب و دخلت السكرتيرة ،فالتفتَ فأخبرته أنّ هناك فتاةً تريد مقابلته ،فسألها قائلا: من تكون؟ فتقدمت و مَدّتْهُ ببطاقة هويتها، فأمسكها و تمعّن فيها، إنها إحدى بنات قريته و تدعى "جميلة"، أمر بعدئذ السكرتيرة بإدخالها ، فدخلت "جميلة" وحيّته بتحية رقيقة، خافضة رأسها قليلا متظاهرة بالحياء، فمن يراها يقول عنها أنها ملاك أو عروس من عرائس الأحلام، كانت باهرة الجمال و ذات جاذبية و اعتدال، و رمش طويل قَتّال و على مُحيّاها بصمة دلال، تتزعزع لمرآها الأفئدة و ترتجف القلوب، كانت ترتدي ثيابا في لون فاتح بَديع ، مُنْتقاةٍ بذوق رفيع و تنبعث منها موجة خفيفة من عِطر برائحة ورود الربيع.

ردّ "عمر" التحية بعدما حَدّق فيها لبعض الثواني، ثم جلس فوق كرسي مكتبه قائلا: مرحبا بك، تفضلي اجلسي.

فجلست على الأريكة و وضعت يديها بين ركبتيها خافضةً رأسها قليلا ، و بين الفينة و الأخرى كانت ترفع رأسها ، فتنظر إليه و تبتسم ابتسامة لطيفة ساحرة، ثمّ تخفض رأسها من جديد،فابتسم عمر و قال:- ماذا تشربين يا حَشّامة(كثيرة الحياء)؟

ردّت مبتهجة:- كما تُريد يا سيدي .

فأمر عمر بإحضار كأسين من العصير، ثم قام مِنْ على كرسيه و تقدم و جلس على الأريكة المقابلة لها، فلم تكن تفصل بينهما غير الطاولة الزجاجية الموضوعة بينهما، لقد أحس "عمر" بارتياح كبير رفقة تلك الفتاة، و أحسّ أنّ قلبه ينبض على غير عادته ، لقد كانت لِلمْسة الجمال التي كانت عليها تأثيرٌ كبير فيه، و لِرمشها الكحيل وقعٌ مُفاجئٌ على

صدره كأنه سَهمٌ خرج من قوسه صوبه، بعد ذلك أطلق مبتسما:

- كيف هم أهل القرية؟

- بخير و الحمد لله ، لا ينقصهم غيركم ، لقد سمعتُ أنكمْ بلطف الله و بعزيمتكم الفولاذية قهَرْتم وعْكة ً صحية قد أصابتكم منذ أيام قليلة، فامتطيتُ أول طائرة متجهة إلى العاصمة للاطمئنان على أحوالكم .

- شكرا جزيلا، لكن من أخبرك؟ فأنا لم أبلّغ حتى عائلتي.

أجابت "جميلة" مبتسمة، و مُبْدِيَة ً حركة لطيفة برأسها، تعبِّر بها عن الدّلال قائلة: ليس المهم من أخبرني، لكن المهم أنني أعرف عنك كُلَّ التفاصيل، و أنا أتتبع حركاتك و أعمالك من حيث لا تراني أو تعلم بي، و ذلك منذ سنين طويلة، منذ التحاقك بالجامعة.

- عظيم، وَ لِمَ كلّ هذا ؟

ـ لا أعرف، رُبَّما بإيعازٍ داخلي ، لا أعرف مصدره.

صمتَ"عمر" قليلا ، فدخلت السكرتيرة حاملة أكواب العصير ، و حطّتها على الطاولة فشكرها و أذِن لها بالانصراف، ثم بقي "عمر" و "جميلة" يشربان العصير و يتحاكيان ،و تارة يتضاحكان و كأنهما يعرفان بعضهما البعض منذ زمن بعيد، و بعد مرور ساعتين من الزمن استأذنتْ للخروج من مكتبه، كَوْن موعد إقلاع طائرة العودة قد قرُب ، فخرج معها و رافقها في طريقها إلى المطار على متن سيارته ، ثم تواعدا و تبادلا أرقام الهاتف، و ما هي إلا ساعة و ركبت الطائرة ، بينما هو عاد أدراجه يفكر في أمر الفتاة التي ظهرت فجأة كشُعاع نور في حياته المظلمة ، فحمد الله و راح يقود سيارته في تُؤدَةٍ ، مُستمتعا بالأغاني العاطفية التي يرسلها إليه المذياع .

كانت تلك الزيارة المفاجئة هي الخطوة الثالثة من خطة جميلة، علما منها أنها جذابة فاتنة ، لقد رمَت شباكها هذه المرة،فهل سيكون "عمر" مَصيدة سهلة بين مَخالبها، أم أنه يستطيع أن يكشف كيْدها؟

***

بقي الاتصال جاريا بين جميلة و عمر عن طريق الهاتف، و عندما مرّتْ ثلاثة أسابيع، ركبت الطائرة من جديد ، و سافرت إلى العاصمة و زارته ثانية في مكتبه ، لكن هذه المرة تقرّبت إليه أكثر، و خرجت برفقته إلى مكان رومانسي هادئ تناولا فيه وجبة الغداء، و شربا معا كؤوس الشاي، و ازدادت العلاقة بينهما أكثر حَميميَّة و تطوّرت إلى حدِّ العشيق بعشيقتِه، و في المساء أوصَلها إلى المطار و ودّعها و كلّه شوق لرؤيتها مرة أخرى. لقد ظهرت في حياته في وقت مناسب، و استولت على قلبه بإغرائها و جاذبيتها في

وقت قصير، و لقد استمرت المكالمات الهاتفية الليلية المُطوَّلة بينهما، و في آخر المطاف توصلا إلى اتّفاق بإجراء حفل الخطوبة في أقرب الآجال ، و بالفعل انتقل "عمر" بعد ذلك إلى قريته و طلب يدَها من أهلها ، و أقام الحفل في جوٍّ بهيج ، كما وعَدَ "جميلة" و أهلها بإحياء حفل الزواج في فصل الصيف على أن تُزفّ له في عطلته الصّيفية ، ثم طار إلى العاصمة.

و راحت الأيام تمرّ متباطئة على "عمر" و هو بعيد عن "جميلة" التي استطاعت أن تستحوذ على قلبه و كيانه في زمن قصير، و راح ينتظر العطلة بفارغ الصبر.

و لمّا جاء الصّيف ، سارع إلى السّفر إلى قريته مُودّعا هموم العمل و أتعابه، آملا في قضاء أيام جميلة بين أحضان أهله و ذويه ، حالما بيوْم زفاف"جميلة"عروساً له.

***

توقف المَوْكبُ أمام المنزل ، و نزل كل من"عمر" و"جميلة" من سيارة فخمة في ثوب العُرْس،كان يرتدي بذلة من أجْوَدَ القماش ، مطرّزة بالحرير، أما هي كانت تبدو في ثوبها الأبيض الشّفاف كالطاووس، و مَشَيَا سَويًا ، لِيَلِجا باب المنزل وسط حشْدٍ هائل من نساء يصفّقن و يُزغردْن، و يُلقين على العريسين أوراق الورد المعطرة، و رجال يحملون بنادقا، يُسمَع دَويّ طلقاتها في كل مكان، ثم دخل العريسان إلى قاعة فسيحة الأرجاء، حيطانها رخامية ، و سقفها مُزيَّن ٌ بالورود و الأضواء الملونة ، ثم سارا فوق الزرابي الرفيعة و من خلفهما الحَشْدُ، إلى أن وصلا إلى الأريكتين المُزَخرفتين المُعدّتيْن لهما في صدر القاعة،جلسَا جنبا إلى جنب يتضاحكان و يُلوّحان بأيديهما للحاضرين ، مُعبّريْن عن شكرهما لهم، بعد ذلك أدخلتْ طاولة طويلة متحركة، عليها كل ألوان المأكولات، فتقدم إليها الحاضرون،

و أخذ كل واحد منهم حاجَتَه على الطريقة الغربية، و جلس على مقعده في زاوية من زوايا القاعة، و راحوا يأكلون بشراهة، فلما اكْتَفَوْا حَضرت طاولة المشروبات من قهوة و عصير و شاي، بعدما أزيحت طاولة المأكولات، فراحوا يشربون مستمتعين بالأنغام الجميلة ، و الزّغاريد التي تطلقها الحَرائِرُ بين الفينة و الأخرى.

في تلك اللحظات ، دخلت القاعة فتاةٌ ترتدي خماراً أسوداً، و عباءةً سوداء مُمزّقة، و على وجهها آثار الدموع، و راحت تمشي بخُطى متثاقلة ، إلى أن توسطت القاعة، وقفَتْ على بُعْدِ أمتار من العروسين، فقام"عمر" و حَمْلَق فيها جيدا، إنها "لمياء" ، إنها أوّل فتاةٍ في حياته فتحتْ باب قلبه لينفذ إليه شُعاع الحُب. تَحَيَّر الحضور لأمر هذه الفتاة الغريبة، و شخصتْ أبصارهم ، فأسْكَتَ أحدُهم صخْب الموسيقى لِيعْرفوا سِرّ هذه الفتاة ، أما"عمر" وقف مندهشا

عاجزا عن النطق ثم تشجّع و أطلق: ما الذي جاء بكِ هنا؟
فردّتْ و الدموع تخنقُها: هكذا يا "عمر" ، أهذا هو حُب السِّنين؟ ثم التفتت إلى "جميلة" و قالت عاتبةً: و أنت يا "جميلة" ، أهذه هي الصّداقة؟

و فيِ الحين وضعت على شفتيها قنينةً صغيرة كانت تحملها في يدها و تجرّعتْ كل ما فيها دفعةً واحدة ، ثمّ مدّت يدَها إلى "عمر" قائلة : أحبك يا "عمر" ، أحبّك ، و حاولتْ أن تتقدم إليه أكثر لكنّ جُرعة السُّم اللعينة، دمّرتْ كيانها، و شلّتْ مَفاصلها فسقطت على ركبتيها، و بقيت مادّة يدها صوب"عمر" مردِّدة ً بآخِرِ أنفاسها: أحبّك يا عمر، أحـــــــــــــــــ.....بــــــــ.....بــــــــ......بك.....

فلمّا رآها "عمر" ذلك ، صرخ صرخة مُدوِّية و أسرع إليها، فأمسك بيدها ، و ارتشف آخر دُموعها المنسكبة على وجنتيها، كانت آخر كلمة تلفظت بها هي أحبك، ثم استلقتْ

على ظهرها لِتخلُد للنومة الأبدية و ما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى هَوَى عليها"عمر" ، و ألصق رأسَه بصدرها مثلما يفعل الصبي بأمِّه، فاندهشت "جميلة" و قفزت من على أريكتها، لِتُعِيد المياه إلى مجاريها، و اتجهت متسارعة صوب "عمر"، فأمسكت بيده لتحمله عنها فإذا بها أشدّ بُرودة من الثلج. نادته باسمه: "عمر"، عمـــــــر،... لكن لا حياة لمن تنادي! لقد ادّخرَ له القدرُ هذه السّكتة القلبية العنيفة إلى هذه اللحظات ، فكانت سكتةً ما بعْدها سكتة أخرى، فسقط جُثّة هامدة...نعَمْ لقد نادته صاحبة الحب الخالص من عالم غير هذا العالم، فاستجاب، عالمٌ لا فيه غدرٌ و لا كذب و لا نفاق، بل هو موْطن الصّراط و الحساب و العدل، إنّــــــــه عالــــــــــــــــــــــــمُ الأرواح !!!

** أغنيةُ الثـّكْلى**

لمّا ملّتْ نفسي من ضَوْضَاء الأفكار المُتهاوية من سَقف غرفتي، و سئمتُ من أصوات الماضي الشّبيهة بأصوات الأرجل الماشية فوق المُومياء، فتحتُ باب غرفتي، و انحَدرتُ إلى الوادي المُلتوي، و سِرْتُ في سواد الليل مُطاردا أخيْلته المتراكضة، متتبِّعا تموّجات الريح الزافرة، مُنصِتا إلى أنين الكائنات المتألمة من جور الشتاء، بان لي من خلف الوادي كوخٌ صغير، بين الفينة و الأخرى تأخذ الريح قليلا من قشّ سقفه، و ترميه على الأرض، و انبعث إلى مَسْمَعي صوتٌ رقيق شبيهٌ بالتسابيح يقول:

نمْ يا صَغيري ، نمْ...
نمْ يا مُنَى القلب، و أبْحِرْ في فضاء الرُّقادْ
فمُقلتِي قدْ أضنْناها طُولُ السُّهادْ
و الجَفنُ أضْحَى كَغُصنِ ناعِمٍ ذاوِ

رَمَتْ به الرّيح في الرُّبَى ، و كُلّ الوِهادْ

نمْ يا صَغيري ، نمْ...

و اسْبحْ في بَحْرٍ تزينُه الأحلامْ

فَفِيهِ سَلْوًى ، و بهْجةٌ و كأسَ مُدامْ

يُنسيكَ أياما كانتْ كالحَنْظلِ

و يطرُدُ عَنكَ أسْرابًا مِنَ الآلامْ

***

نمْ يا صَغيري ، نمْ...

فجَمْرُ كانُوننَا ما عَادَ يَحتملْ

نسائمًا مَمْزوجةً بدَمْعِ المُقَلْ

كَذَا، الأثافِي ارْتَدَتْ ثوبًا أسْودًا

حُزنًا...

فَمَا بالُ مُهْجَتِي التي تشتعِلْ؟

نمْ يا صَغيري ، نمْ...

فرُوحُ أبيكَ تبْكينَا ، و أحزاننَا

مُرفرْفةٌ في سَماءِ غُرفتِنا

باللهِ عليكَ...

قدْ زادتني ألمَا

فاطبقْ رُموشكَ، و اتركها تُغادِرنا

***

نمْ يا صَغيري ، نمْ...

فالصُّبحُ قدْ جاءَنَا، و نَحنُ لمْ نَنَمْ

تُرَى مع نورِهِ، هلْ ينقشعُ الألمْ؟

و هلْ يَسُوقُ إليْنا يَوْمًا مُشْرِقا؟

أمْ ينثرُ آمَالي في فضاءِ العَدَمْ

نمْ يا حبـــــيبي ، نمْ...

و دَعْ جِراَحِي تنمْ.

في تلك اللحظات إكفهَرَّ وجهُ الطبيعة، فازدادت الرياح شدّة، و سقطت الأمطار وابلا غزيراً،تَلاهَا البَرَدُ بضرباته التي كادت تثقبُ رأسي،بينما كنتُ مُحْتميا بشجرة مُلتفّةِ الأفنان.

و هدأت العاصفة الهوجاء، فمشيتُ صَوْب الكوخ مُتحدّيا أكوامَ الأوحال، و لمّا وصلتُ وجدتُه قد أضحى طَلَلاً باليا و الرّيح تأخذ منه ما خفَّ حَمْلُهُ، و تذْرُوه في الفضاء البعيد، أما الثكلى و ابنها قد أخذتهما النّومة الأبدية، فوقفتُ ساعة من الزّمن أرْثيهما و أردِّد: أيها المساكين: لقد دخلتم إلى الحياة غرباء، و خرجتم منها غرباء،حِكمتك يا الله !!

رسالةٌ إلى الحَبيبةِ المُستحيلة

لا،لا يا ابْنةَ الــــــ.........ير

لا ، لسْتُ بينَ رَاحتيْكِ كَالأسِيرْ

بَلْ طائِرٌ أنَا طَلِيقْ

عَلَى الثَــّرَى أنَامُ تارَةً

وَ تارَةً أعُومُ فِي مَوْجِ الأثِيرْ

وَ أجْمَعُ زَادِي مِنَ الحُقُــولْ

وَ أطـــفِىءُ نَارَ العَطَش

بقطْـرَةِ مَاءِ الغــــدِيرْ

أجالِسُ البَدْرَ الجَمِيلْ

عَلَـى ضِفافِ الجَدْوَلِ السّمْحِ الصّغِيرْ

مُسْتمْتِعًا...

بمَقطعٍ مِنْ سيمفُونِياتِ الخَرِيرْ

عِنْدِي، ذاكَ خَيْرٌ مِنَ الذّهَبْ

و الدُّر، و الزّادِ الوَفِيرْ

و أحْسَنُ...

مِنْ نوْمٍ علَى سَرير مِن حَريرْ

فِي قفـــصْ ٍ رُخامِي ٍ

عليْهِ حَرَسٌ كثِيرْ

***

أرجُوكِ لا تُقيِّدينِي يَا صغِيرَتِي

لأنّــــــــــــــــنِي

خصْمُ القُيُودْ

حَقيقةً أنا فـقِيرْ

لكنْ فِي صَدْري غِنىً

بحَجْمِ عُبابِ البُحُورْ

فسَافِري عن ضيْعَتِي

مِنْ فضْلِكِ بِلا بُكَاءْ

فدَمْعُكِ كالخِنْجَرِ....

يُمَزِّقُ قلبي الصَّغيرْ

و غادِري أرْضِي فلَمْ

أعُدْ أطيقُ العَيْشَ تَحْتَ ظِلِّكِ

لأنـــِّنِي خُلِقتُ حُرًّا ، لا أسِيرْ.

** الصّدْمة **

أناديك أيتها الحياة!

لقد سمّيتكِ الحياة لأنني لم أجدْ أعمقَ من هذه الكلمة لأسمّيكِ بها، و لأنّني بدونك ميت، لست ميّتا بمعنى جثة بين حِيطان رمْسٍ مَنسي، بل جسدٌ بلا روح، و وَردٌ بلا عِطْر، و غُصنٌ ذَاوٍ لا حَياةَ و لا نضارة.

أناديك يا مُنى نفسي، فهلاّ سَمعتِ نِدائي مُنسابا مع نُسيمات السّحَرْ، و هلاّ رأيتِ كآبتي السّوداء خيالاً مُخيفا مُتمايلا ليلة السّمَرْ، و هلا أبصرتِ أشواقي المتصاعدة إلى الفضاء، فتحجب عني النجوم و القمرْ.

أناديك يا سارقة النوم من جفني ، فهل رَنَّ في أذنيك صَدَى البَوْح بلوْعتي للكائنات، و صوت الصبابة التي تتهاوى عليَّ، كما يتهاوى على الأرض وابل المَطرْ، أناديك يا شقيقة الرُّوح فهلاّ تحسّسْتِ نبْضَ شراييني مع تَمَوُّجات النسيم

العليل ، أناديك و سأبقى أناديك حتى يَخْمدَ البركان الذي تجتاح حِمَمُهُ صدري، فتُذِيب كياني.

أنا أعلم أن فراقك يدٌ حديدية صفعَتْنِي صفعةً قوية ،زلزلتني، و أودعَتْني الحُزن الذي راح يمتصُّ دمائي ، و يُفتِّتُ عظامي، تلك اليَدُ التي سرقتْ مِنّي أعزّ ما أملك في هذا الوجود، و حرمتني من تذوّق كأس السّعادة، لن تستطيع أن تحرمني من إيصال أنيني و أحاسيسي إلى كلّ العالم، مع أشعّة القمر و قصف الرعود، و أجنحة العصافير، و حفيف الشجر، و لن تستطيع أن تحْرمني من أن أناديك بأعلى صوت، و أتغنى باسمك ما حَيِيتُ و أداعب طيفك الذي يمتثل أمامي في يقظتي و مَنامِي، و في ليلي و نهاري، و عند مأكلي و مشربي، تلك اليَدُ لن تقدر على حَبْس عيني من ذرف الدّموع، و لا أناهيدي عن إطفاء كل الشّموع!.

يا ظبية واراها التّراب في شرخ شبابها، ما قيمة الحياة بدونك؟

و ما أضيقَ كُلَّ هذه الفيافي بدون قفزك و ركضك!.

يا زنبقي ، لقد داهَمَك الإعصار فشتّتَ وُريقاتك ، و كسَّر ساقك، بعد ما كنتِ بالأمس مختالة بين الزّهور، ما قيمة الهواء إذا لم تكن فيه أنفاسك ؟ و ما أنتنَ هذا الجوّ بدون طِيبِ ريَّاك!.

كم هو الموتُ قاس يَا حبيبتي، فقد كُنّا بالأمس و كانت الأيام تركض أمامَنا مثل غزال زاهٍ بشعاع الشّمس ،و شَسَاعَةِ البيداء ، و اليوم أصبحتْ شوكةً تخِزُ قلبي كلّ ساعة و كل دقيقة و كل ثانية، كنا و كانت الأيام جدْولا رقراقا طرُوبا ، يُروِّي الأشجار و الأزهار ، و ترقص على خريرهِ العصافير و الأطيار ، و قد أضْحت مستنقعا من الأحزان و الأتْــــراح.

كنا و كانت الحياة مَنْهلا صافيا يُثلج ماؤُه الصَّدْرَ، و يَحُوك

للرّوح أجنحة سحرية تحَلّق بها في الفضاءات اللاّمُتَنَاهِية ،
أما اليوم فقد أصبحت كأسًا عَلقمية،تتحَجَّر مَرَارَتُها في
الأمعاء!

أتذكُرين يا صغيرتي آخر مرّةٍ جلسنا فيها مع بعض تحت
ظل هذه الشّجرة العظيمة، و كان هذا المكان روضَةً من
رياض الجنّة، و أنتِ عروسُها، و عندما مددتُ يدي لأمسِك
بِيَدِكِ ، و أضَعَها على قلبي، لتتحسَّسي دقاته النابضة باسمك،
أبَيْتِ أن ألمس يَدَكِ ، و قلتِ لي: حتى نتزوّج ، و رسمْتِ تلك
الابتسامة على شفتيك، فكانت أروع لوحة رأيتها في حياتي،
ثمَّ أخفضتِ رأسك قليلا، و حدّقتِ إلَيّ بعينين واسعتيْن
تقولان بلهجة واضحة: أيّها الطّماع استَح !.

ها قد أصبحتْ تلك الروضة الغنّاء مَهْدًا لِلحْدٍ حفرتُه
بأظافري، و قبَرْتك فيه، و غطّيتك بخليط الثرى الطّاهر، و
دُموعي المُهراقة كالشلال، و ذلك الجمال الذي كان يحيط

بنا، لم يغُدْ في نظري سِوى كمْشة تراب، لا طعم و لا بهاء،
ها قد أصبحتُ اليوم أناجي روحك المسافرة إلى فضاء العالم
العلوي، بعدما كنت بالأمس تجلسين قبالتي، فأحدّثك عن
أحلامي و طموحاتي، عن كلّ شيء ، عن اللاشيء ،نسْكت
فتتكلّم العيون، نتكلّم فتخشع الكائنات، كان كلامك شبيهًا
بزقزقة العصافير ،و كانت همساتك خَمْرة ً يثمل بها قلبي
الصّغير.

أيـــــــــــها المـــــــــوت !

أنتَ حقّ، لكن كَمْ هي حادّة ٌ مخالِبُكَ ، و كم هي مُوجعة
أصابعك، و كم هو متحَجِّرٌ قلبك !

يا ربّ ، أنا مؤمن بقضائك و قدرك، و اليوم الآخر و رُسلك
و ملائكتك، أرْزقنا الصّبر و السّلوان،إليك المعاد،يا مبدع
إرَمَ ذات العماد، إهدنا إلى درْب السَّداد، و هبْ لنا من لدُنْك
رحمة يا وهاب يا واحد،.......آمين.

***

بعدما أنهى الشّاب مُناجاته، غرَسَ وردةً حمراء على القبر، ثمَّ اقتلع نفسَهُ مِنْ على الأرض، كأنما شُدَّت أذياله بحَواشي ذاك الضَّريح، و مشى مُتثاقلا و وجْهُهُ من الدّموع كَأرْض اجتازها السّيْل.

كان ذلك و أنا جالسٌ حيث لا يراني أراقب حركاته حركة حركة، و أتألّم لِكلماتهِ اللافحة.

تبعْتُه ، ثم بادرتُه بالسّلام ، فردَّ بكلمات تملأها الغصّات، فعزَّيتهُ و طلبت منه أن يُحدِّثني عن حكايته كي أنشرها ليكون للناس مثالا للوفاء، فجلسنا تحت ظل شجرة، و أخذ يقول:"جمال" في ربيع العمر - كما ترى- أعمل بصحراء البلاد، تلك المنطقة الشّاسعة، الغنيّة بثرواتها الطّبيعية ، الزّاخرة بالمناظر الخلابة و الواحات الجميلة التي تزينها كما يزين العِقْدُ صدر الصّبية البضة، و التي تُسَبِّح فيها مَناهِلها و أطيارها بعظمة الخالق.

الساعة تشير إلى الثّامنة مساءً إلا ربع ، و أنا مُسْتَلقٍ على سريري، أستمتع بلحظات الاسترخاء بعد عَنَاء يوم كامل.
ذهب خيالي بعيدا، فجلستُ بمحاذاة طيف تلك الفتاة التي أحبَبْتُها و أحبَّتنِي بصِدْق، تذكرتُ حلاوة الأيّام برفقتها، تمنّيتُ من الساعات أن تركض بسرعة كي أستفيد من العطلة الموعودة، و أتمكّنَ منه رؤية ذلك المُحيّا البريء، لكن تلك السّويعات كنت أرى دقائقها تزحف أمامي ببُطءٍ سخيف.
فتحتُ التلفاز ، فسمعت الصحفي يقول: كارثة وطنية ضواحي بومرداس، السلطات تتحرّك، خسائر مادّية و بشريّة معتبرة، إنه الـــــــزّلـــــــزال،...إلخ .
تألّمتُ و تألمت ، توقّعتُ إصابة عائلتي كوني من ضواحي المنطقة، لكنّي استبْعدت الأمر، فكّرتُ و فكرت ثم داهمني النّعاس، فأطفأت التلفاز و استسلمت لسُلطان النّوم.

و في صبيحة الغدِ يَهْوَى الخبر اليقين عليّ كالصّاعقة ، بل أشدَّ من الزّلزال نفسه، لقد التَـهَمَ الزّلزال خطيبتي، تلك الصّبية التي أطعمتُها حنان قلبي، و سقيتها نبْض عروقي، سَيُواريها التّراب و ستصبح طعاما للدِّيدان. و العصفورة التي كَسوْتها الرّيش براحتي،فلمّا آن الأوان كي نُحلّق سَويّا في فضاء واحد ، فضاء الحياة و الحب، مدّ القَدَرُ يَدَهُ و كسَّر جناحها و نَسفَها في فضاء العدم.

آه!ما أحْوَجَكِ يا عينُ إلى الدّمع، و ما أحوجك يا نفس إلى الصّبر! كان الشّاب يتكلم و أنا أتأمل في وجهه جيّدا،فرأيت الدّموع تتهاوى و هو يحاول أن يُرجِعَها إلى أعماق ذاتِه، لكن ما باليد حيلة فقد غلبته. عندئذ صبَّرْتُه ببعض الكلمات ثمّ قلتُ: لكن من أين أتيت بهذه الفصاحة و الكلام الجميل و العبارات الرّنانة ؟ فتنهَّد و قال: يا أخي من قلب الرّبيع تنبت الورود، و من قلب الأرض و الجبال تنبجسُ الينابيع،

و من قلب المعاناة يتفجَّر الإبداع، أسعدَ الله نهارك، السّلام عليكم.

هكذا ألقى عليٌّ كلماته الأخيرة، و اقتلع نفسه بصعوبة من على الأرض، و سار في ضباب الحزن إلى أن تَوَارَى .

** عيْنـــــــــاكِ **

عيْناكِ بُحَيْرَتَان تحْتَ ضــَوْءِ القمَرْ
نَامَتْ عَلَى أطْرَافِهمَا بَسَاتِينٌ
مِنْ بَاسِقِ السّـَرْوِ و الصّنوْبَرْ
و حدائقٌ تفُوحُ بِرَيَّا الأقحُوان العَطِرْ
و حَاجِبَاكِ كقاربَيْنِ راسِيَيْنْ
يُقارعَان فِي وُجُومْ
مَجِيء وَقتِ السَّحَرْ
أمَّا جُفونُكِ فهي تعْزِفُ ألحَانًا
دُون كمَانٍ أو عُودٍ أو وَتـَــــرْ
وَ مَوْقُكِ مَجْرَى يُنبُوعٍ صافٍ
و مُقْلتاكِ...
ليـــلتَا سَمَرْ

أمَّا عنْ بُؤبُؤِك فَهُوَ فانُوسٌ

لِشَاعِرٍ رَقيقٍ مُحِبٍّ أنْهَكَهُ السَّهَرْ

عينَاكِ باختصارْ ...

يَا قاتِلتِي، أحْلَى لوْحَةٍ رُسِمَتْ

فِي هذا الكَوْنِ، فسُبْحانَ مَنْ صوَّرْ.

** الجــــــحيم **

سِرْوال أزرق ٌ مُلاصق للحْمها ، و قميصٌ شفاف يغطّي بعض جسمها، بل يزيده فتنة ً صارخة، لكنها لم تُعِر لنفسها أدنى اهتمام شأنها شأن قطعة لحم لذيذة، بقيتْ عُرضَة ً للشّمس، فالتقتْ حولها الحشرات و الدّيدان، و بعيْنين واسعتين ذابلتين حزينتين، و ابتسامة صفراء مُصطنعة ترُدّ الشّابة تحيات العِيد على الدّاخلين و الخارجين، كانت جالسة ً فوق كرسيي في قاعة الاستقبال بالنّزْل الذي تعمل فيه، تُحملق جيدا في فنجان القهوة الموضوع أمامها على الطاولة، و بين الفينة و الأخرى تأخذ نَفسًا عميقا من السيجارة المرتجفة بين أناملها، ثم تطرُد أنفاسها الدخانية في الفضاء ، و تعقبها بارتشاف جرعة من القهوة السّوداء، كالذي يحاول أن يدمِّر جسده، أو ينتقم من نفسه بنفسه ، أو كَمَنْ يسْقي الألم كأسا من حزن أو يحاول إطفاء النّيران برَشّ البنزين !.

من يَراها يقول أنها واحدة من بين آلاف خضْراوات الدِّمن، أو مُومسٌ و كَفَى ، لكن أنظر جيدا إلى نواة الأمور، فإنك سوف تكتشف أسرارا و أسرارا، و حدِّق جيدا في تلك العينين السوداوين الجميلتين فإنّك، سوف ترى الألَم بَادِ في مُقل تلك الفتاة البضة ، ثم استنشقْ أنفاسها الدخانية فإنّك سوف تُحسُّ بالحسرة و النّدم، و حدِّق جيد في تلك الأنفاس فسوف تُبْصر المعاناة راكضة بين دقائِقها.

إنّ في عُمق كل نفس بشرية نصيبٌ من الألم سواء كان بحجم الذّرة أم بحجم الجبال، لكن هناك من تكون أخيْلَةُ ذاك الألم باديةً عليه، راقصة على مُحيّاه، و هناك من يُداريها بالمظاهر الخادعة ، أو يُبَرْقعُها بابتسامات مُزيَّفة.

تقربتُ من الفتاة قصد إشباع فضولي وفكّ اللغز الماثل أمامي، وردة جميلة في أوائل أيام الرّبيع تحَوّل شذاها الذي عادةً ما يكون عَطِرا إلى ريح نتنة!.

أهو ذنبها ، أم ذنب الربيع، أم ذنب الطبيعة كلها؟.

أهو ذنبي أنا، أم ذنب الزّهور و النباتات المحيطة بها، أم هو ذنب كل الكائنات؟.

قلت: دنوتُ منها و حَيّيتُها و هنّأتُها بعيد الفطر المبارك ثم قلت لها: -رأيتكِ وحيدة فأردتُ أن أؤنسك،هل تسمحين لي بشرب فنجان قهوة معك؟.

قالت: تفضل،- اجلسْ ، لكن استح فاليوم عيدٌ، أظن أنّك أيضا منهم، لكن لا تبدو عليك ملامِحُهم.

- مَنْ هؤلاء ؟

- أنت تعرف جيدا ما أقصد. أبناء الحرام.

عرفت حينئذ أنها صنّفَتْنِي في خانة أولئك الذين يشْتَرُون لحظات النزوة بأموال باهضة على حساب أجساد جرَّها إما الغرور أو الجنون أو السّذاجة إلى سوق الرّذيلة.

ابتسمتُ و قلت: معاذ الله أن أكون من ذاك الصنف، لكن

ودِدْتُ أن أكون لك صديقا و فقط،فهل تقبلين أن أكون كذلك؟.
بضحكة تنم عن اللاّثقة و الاستهزاء قالت:آه!صديق، نعمْ صديق ! .
عندئذ حدثتها عن الصداقة و الحب، عن الحياة و الدّين و مُعظم الجداول التي تنْصبُّ في بُحيرة الحياة، فأحسستُ أنّها بدأتْ تستلطف كلامي.
قالت: و أين نصيبي من كلّ هذا؟ فأنا محرومة من الحياة و الحب و الزّواج، حتى الأمَلُ انطفَأتْ كلّ شموعه، و ذبلت كل زهوره أمامي،فأنا لستُ إلا سُنونوَة ً حَطّمَتْ عُشّها العاصفة،و نَتفتْ ريشها أيْدٍ شيطانية و أودعَتْها قفص العار و الرّذيلة، آهٍ من البشر و من شرور البشر!.
- كلامكِ حلـــــــــــو و عذب.
- أحسِبْتِنِي أمّية؟ إنّي بنت الجامعة.

اندهشتُ لقولها،ثم داريتُ الأمر بسرعة،لقد أحسسْت أنّ كلامي توغّل في أعماق الفتاة فبدأت ترتاح لي، و أيقنت أن بين جنبي تلك الشابة نفسٌ مُرْهفة" حساسة، و ذاتٌ متألمة، نفثت فيها الحياة سُمومها و جعلتها تتخبط بين أنياب الأيام، لا طبيبا مداويا و لا يدًا رحيمة تنجيها من العذاب، فرُحْتُ أستدرجها عساني أعرف ما تواريه قائلا:

ـ لماذا تتشاءمين من البشر؟

ـ خاصة الرجال، إنهم مصدر التعاسة و الحزن.

ـ ألِهذا الحدِّ تكرهين الرّجال؟.

ـ نعم أكرههم، أكرههم اليوم و غدا و في الجنة و في الجحيم و في كل مكان، حتى النساءَ أيضا أكرههنَّ و أكره معهن نفسي، قالت ذلك بلهجة الساخط.

ـ لماذا كل هذا التشاؤم، و أنت لا تزالين في عُمر الزهور؟.

ردَّت باستهزاء رافعة قليلا شَفَتها السُّفلى: عمر الزهور، بل

قل: عمرٌ بلا زهور، كنت في عمر الزهور في يوم ما و في زمن ما و في مكان ما، عندما كانت "سعاد" التي هي أنا البنت المهذبة و الصبية الجميلة المتحجبة المتخلقة، يكسوها الحياء، و تزينها تلك المَسْحة الملائكية الطبيعية، أما اليوم فقد أصبحت "سعاد" حُثالة الناس، بعدما رمتْ بُرْقع الحياء، و راحت تتسكّع في الشوارع، نعم لقد أصبحتُ تلك الوردة المخضلة مُجرد وريقات متناثرة هنا و هناك، تدوسها الأقدام و الحوافر!.

من منّا لا يريد أن يستقبل بهجة العيد في دفء عائلي بين أحضان الأبوين؟ و من منا لا يحب أن ينْعم بتلك اللحظات الجميلة؟أنا أعترف أنني مُذنبة في حقّ نفسي و في حق ربِّي، لكنني أوكله مولاي الله العلي القدير على الشياطين البشرية التي جرّتني إلى هذه الهُوّة السحيقة التي دفنتُ فيها شرفي و قيَمي و أحاسيسي و إنسانيتي.

كانت الفتاة تتكلم و أنا أراقبها، و أحدِّق إلى أشعة مقلتيها التي نسجت منها يدًا خفية امتدَّتْ إلى قلبي و راحت تعصره مثل الليمونة، و سرعان ما تغرغَرتْ عيناها الواسعتان بالدموع، فسقطت أوَّلُ جُمانة على خدها، و كبحت الغصَّات الكلمات في حنجرتها، فلم تستطع الفتاة التحمل، فقامت لتغسل وجهها مُشيرة لي بيدها أنها سوف تعود بعد قليل.

***

مَنْ مِنّا أيّها النّاس يستطيع أنْ يكبَحَ أحاسيسه أمام هذا الموقف؟ و من منا لا تتفتّت كبدُه أمام امْتلاء عيني تلك الشابة بالدموع؟ دموع الحرمان، دموع الحاجة إلى الرأفة و الحنان، و من منا لا تداهمه الغَصَّاتُ، فتملأ حنجرته بمرارة حنظلية أمام ذاك المشهد الكئيب، مَشْهد صبية رمتْهَا الأيام تحت نِعالها، و راحت تدوسها بلا رحمة أو أدنى شفقة، بعدماكانت بالأمس القريب لؤلؤة في تاج الحياة،هكذا إذن هي

الحياة، ،امرأة جميلة لعُوبٌ، تضعُكَ جَوهرة في تاجها إذا كان بريقُك جذّابا، دون أن تعرف لبَّك أهو سُمّ أم بلسم، و ترميك تحت أقدامها إذا كنتَ بلا جمال و لا بريق حتى لو كان باطنك عسلا متقاطرا، و البريق في ناموس الحياة: المال و الشرف و الجاه.

أين نصيبك يا ترى أينها الفتاة التي حيَّرَتْني؟.

سَرَحْتُ قليلا في أغوار نفسي و استوقفتني ذاتي بُرهة من الزمن أحاورها، و إذا بيدٍ ناعمة قُبالة عيني تلوِّح يمينا و شمالا، و الفتاة تقول: أين ذهبت؟ أين أبْحَرْت؟

فضحكتُ و قلت لها : ليس بعيدا، أطلبي لي فنجان قهوة.

لقد عادت بعدما صبَّتْ دمعها، فأطفأت قليلا من الجمر المتوهج في فؤادها، و الذي أحسستُ به يلفح قلبي في بادئ الأمر،ذاك ما جذبني إليها.

جلستْ بعدئذ أمامي و أشعلتْ سيجارة و قالت: لماذا تذكّرني بالعذاب؟ و أنا في كفاح مع ذكرى الألم، و عذاب الحاضر و جحيم المستقبل، ألا ترْحمُني؟.

- بالعكس، إن قلبي يتفتّتُ بين أشعة نظراتك، و ذرّات أنفاسك، لكن مُجرد فضول زائدٍ يا صغيرتي.

- سأشبع فضولك و أحكي لك قصتي من مُبتدئها إلى مُنتهاها، لكن بالله عليك خبِّرني ما ذنبي؟.

قلت لها: تفضلي، ثم أشعلتُ سيجارة و رحتُ أرتشف القهوة التي طلبتُها لي ، فوُضِعتْ فوق الطاولة.

تنهدتْ و قالت: في تلك الأيام الربيعية الجميلة، كانت "سعاد" التي هي أنا، بين ذويها بُرعُمًا صغيرا في شجرة العائلة، يتفتح و ينمو شيئا فشيئا إلى أن أصبح وردة جميلة يفوح أريجُها في الآفاق، و يسحر قدّها عيون العشاق، و تتنَدَّى لِغيابها الآماق، يغمرها حُنوُّ الأبوين و عطف الإخوة، سائرة

بسذاجة في موكب الأيام، فكانت مثل جدول ماؤه ينساب عذبا بَرّاقا.

ما زلتُ أذكر ذلك الفتى الخجول الذي أحسست أنه يُحبُّني بصدق عندما كنا على مقاعد الثانوية، كان المسكين ينتظرني كل صباح، و يُحدِّق إليّ بعينين مِلؤُهما الهيام و الشوق،فلما أنظر إليه تحْمَرُّ وجنتاه، و يطأطئ رأسه، فأضحك و أحيانا أُدَاري ضَحِكي،كنت أكِنُّ له حُبا جَمًّا، نظرًا لِظَرْفِهِ و أخلاقه و وَسَامته، لكن نرجسيتي العارمة مَنَعتْني من الحديث إليه، فكنا نخوض بحرا واحدا و كل منا في قاربه، نكتفي بالنظرات و حِوَار الجُفون،فكان حُبُّنا شبيهًا بحب بني عُذرة، كم هو شريف ذاك الفتى!ليت كل الرجال مثله.

و تمر الأيام و نقفز إلى الجامعة سويا، فغادرنا قريتنا الصغيرة إلى مدينة تبعد عنها بعض الكيلومترات، إلا أن الفتى توجَّه إلى العاصمة بعد أيام قليلة لدراسة العلوم

السياسية، و دخلتُ وحدي ذلك العالم الغامض الذي كان يبدو لي جميلا، حرية تامة، فتيان من كل الألوان،فتيات جميلات متمايلات ، ثنائيات و ثنائيات مُجنّحة بالغرام، كلام حلو و رقيق، و غزلٌ كخمرة بنكهة خاصة،جو مشرق مُعطّر يُفَجِّر ينابيع الشباب، و رغم كل ذلك كان همِّي الوحيد هو الدراسة و النجاح بتفوُّق، و تحقيق أمنية والدي الذي أفنى حياته و هو يرى في وجهي صورة مَلاك الرحمة، بمئزر أبيض ينِمُّ عن الطهر و النّقاء، فانكببتُ على الإطلاع و البحث إلى أن جاء اليوم الأسود اللعين، كان ذلك اليوم فاصلا بيني و بين الحياة الكريمة، و سيْفًا بتَّارًا هوى علي فَبَتَرَ شَرَفي و كرامتي و إنسانيتي، كان ذلك اليوم نهاية للآمال و الأحلام و بداية للحزن و المرارة و الألم. لقد بدأت دقات السعادة في عُمري عَدّهَا التنازلي عندما تعرفت على تلك الأفعى الرقطاء المسماة "حورية" و التي كانت تسكن

معي في غرفة واحدة، نعم من يراها يحسبها حقا حورية من حور الجنّة، لكنها أفعى جهنمية، سرقت من البدر استدارة وجهه، و من الحور عُيونها و من العسل حلاوته و من الملائكة شِيَمها، كانت جميلة و ظريفة ، لكن ذلك لم يكن سِوى قِناعا أوهمثني به حتى أوقعتني في شِباكها، كنت في أواخر التاسعة عشر من عمري في أول سنة لي بالجامعة ، و هي في الطور الأخير.

قلت: جمعتنا الأقدار في غرفة واحدة، و كنا صديقتين حميمتين، لكنّي ساذجة، أما هي فأمُّ المَكْرِ و الدّهاء، و لقد حذَّرتْنِي منها إحدى الزميلات،لكني كنت أرى فيها عكس ما قالت لي عنها، كنت أرى فيها النّحلة التي تطعمني العسل و الوردة التي تُعطّر لي الأجواء، كم كانت تدللني ،لدرجة أنها كانت تطعمني بيدها، فاْتَنَسْتُ بها أيَّما أنْس ، و تدفّقتْ مِياهي في مَجراها بثِقةٍ عمياء، لكنها خانت الثقة ، و صبَّتها

في مستنقع أسود يَعجّ بالضفادع و الخنازير العوامة!.
نعم، كان ذاك التفاح و تلك المأكولات اللذيذة التي كانت تطعمني إياها مسجلة في فاتورة دفعتُ حسابها في آخر المطاف، دفعت فيها كل ما أمْلك،شرفي،إنسانيتي و كرامتي، حياتي و سعادتي و أحلامي، ما أبهضها فاتورة!.
كانت "سعاد" تتكلم و الدموع تتساقط من عينيها كالوابل لكنها في هدوء، كمن يَعصر روحه في صمت الليالي، عند غفلة البشر، تلك الدموع بللتْ ثيابها و سيجارتها و أغرقت فنجان القهوة و أغرقت قلبي في حزن رهيب ،و تركتْ مُهجتي تتكسر مع كل غصة من غصّاتها.
كانت الفتاة تتكلم، و كلماتها كلحْن ناي حزين يقطع قلبي بسكين حاد، و أناهيدها بركان تقذف به حِمَم النّدم و الألم، و خدّاها كورقتي ورد لطخهما السيل بالطين، و أجفانها سعَف نخيل صُبَّ عليه المطر.قالت: في ذلك المساء الحزين

الأخير من حياتي، حياة الشرف و الطـــهر، لبستُ أحسن ما عندي من لباس، و تجمّلتُ و توجهت أنا و تلك الأفعى "حورية" إلى المجهول، سالكتيْن درب التّيهِ و الضياع، إلى وقت تسديد ثمن الفاتورة، فاتورة التفاح و الموز و اللّحم ، لقد أوهمتني أننا ذاهبتين إلى بيتهم لتناول وجبة العشاء، و لما دخلنا البيت المتواجد في أعلى طابق من العمارة، و بمجرد فتحِها الباب تدفقت ريحٌ عَطِرَةٌ إلينا، و تسابقت النسيمات الشذية إلى روحينا، فتوغلت في أعماقنا، و أحْسَسْنا بالانتعاش، ثم دخلنا و جلسنا في قاعة الاستقبال، و عندما مرتْ من الزمن عشرون دقيقة سألتها عن أبويها و إخوتها فقالت: إنهم خرجوا لِحُضور حفل زفاف أحد الأقارب، و هذا مناسب كي يخلو لنا الجو، فنمرح و نتحدّث بحُرّية ،و نرقص و نتفرج على البرامج التلفزيونية الأجنبية، و بالفعل فقد كان ذلك كما قالت،بعد ذلك حُطّ العشاء فأكلنا ثم الشاي و العصير

فشربنا، و لقد أحسست أنني متعبة جدًا، و أن النعاس بدأ يُداهمني بشكل فضيع،فاتكأتُ على الأريكة، فضحكت "حورية" حتى سمعت قهْقهَتها، و رأيتها تشير بطرَف عينها للعجوز التي وضعت لنا العشاء و تقول لها: قولي له يدخل في أمان و بِضَمَان، و كلمات أخرى لم أسمَعها جيِّدا، أما أنا فقد تثاقلت عليّ جفوني كأنما حُطّتْ عليها الجبال، فكان آخر ما رأيته خيال رجل أسمر طويل، ذو شارب غليظ يتهاوى علي، و آخر ما أحسَسْتُ به هو مَصٌ فضيع لِرقبتي، ثم استسلمت بعدها للنوم، ذاك السلطان القوي، و باستسلامي للنوم ، استسلمت لذاك الوحش الذي كسّر تاجي، و نهَش لحمي.

و لما استيقظت وجدت نفسي مرمِية ً في غرفتي بالحي الجامعي لكن أين هي "حورية"؟ لا أدري ، لا أثر لها. ظننتُ أنني كنت في حلم أو كابوس، و ليت ذلك كان حلما أو كابوسا!! تحسست جسدي فأيقنت أن ما كنت لا أتوقعه بَتَاتًا

قد وقع ، أو كما يقال هوى الفأس بالرأس*،فقمْتُ من سريري و بدأت أصرخ حتى التفَّت حولي بنات الحي،لقد كنت مَصيدةً سهلة لسَمَاسِرَة الجسد، الذين استغلُّوا سَذاجتي و ثقتي لأغراض شيطانية ، و فريسة لذاك الذئب الذي لا شك أنه مِثلما رَفَسَنِي قد رفَسَ كثيرا من المُغَفّلاتِ قبلي، نعم لقد كانت وجبة العشاء و المشروبات المذوَّب فيها حبوب التنويم، و ربما كانت المخدرات، مَنْ يدري؟ مفتاحا فُكَّ به رباطي المقدّس.

و مرَّت الأيام و أنا كاتمة أمري ، هائمة أبحث عن "حورية" التي مثّلتْ دورها معي بنجاح، بحثت عنها و بحثت فاكتشفت أن كلّ معلوماتها زيف و بهتان، مثلها مثل جنية نزلت إلى بني الإنس فطعنتني بخنجر، و توارت في ضباب الأيام.

كمْ كنت حمقاءً عندما مشيتُ في دهاليز هذا الزمن بعيْنين

---

* حكمة مشهورة.

مغمضتين!و كم كنت أكثر حُمقا عندما أخبرت والدي و إخوتي بالفضيحة، فكان مصيري الشارع،فتراميت هنا و هناك، إلى أن وصلت إلى هذا الفندق الذي أتناول فيه رغيفا مَعْجُونا بالخِزْي، و ربما لو دَارَيْتُ أمري لعشْت مَستورة بين أهلي.

أعرفتَ الآن أيها الرجل الفضولي سبب تشاؤمي من العيد و من الرجال و النساء و حتى من نفسي و من كل الحياة؟ أعرفتَ لماذا أدمِّر صدري بهذه السيجارة الخبيثة؟ ها أنذا مثل شمعة أحترق يوما بعد يوم إلى أن أذوب كليا، و أخرج من هذه الدنيا كما تخرج الشعرة من العجين.

ما غاضني أكثر ليس نفسي فقط، بل قد كان أملي و أمل عائلتي أن أكون ملاكا للرحمة بمئزر أبيض، و وجه بشوش و ابتسامة حلوة تشفي المرضى، لكني أصبحت شيطانا يرتدي مئزر العار الأسود، لماذا يا ترى نتمناها بيضاء

فتكون سوداء، صدق القائل: تجري الرّياح بما لا تشتهيه السفن*.

قل أيها الفضولي بالله عليك، أذاك كلّه ذنبي؟.

نظرتُ إليها نظرة الذي تجرَّع كأسًا من حزن فسقاه الزمن برميلا و قلت :بل ذنبي أنا!.ثم اقتلعْتُ نفسي من فوق الكرسي، بعدما ودَّعْتها بنبرة حزينة و رحت سائرا ألعَنُ عَديمي الضّمير و شرورَهم.

***

نعمْ رحتُ أسير إلى أن انتهيتُ إلى شاطئ البحر فانساب إلى أذني صوت هادئ مجهول لكنه يشبه صوت "سعاد" يقول: أيتها الفتاة المقبلة على الجامعة ، المتطلّعة إلى مستقبل زاهر، إنك سوف تجدين أمامك مواكبا و مواكبا في انتظارك، و مَرْكبات من آخر طراز في استقبالك لِتُحلق بك

* الشّطر الثاني لبيت شعري مشهور

في آفاق الحب المجنون باسم التمدّن و التحضر ، و قلوبا حجرية تدَّعي أنها تنبض باسمك، و أجفانا تُفْرَش أمام قدميك، لكن احذري فتلك ليست إلا بَرَاقِعٌ تواري أرواح ذئاب بشرية و ثعابين جهنمية، فإذا جذبتك تلك المظاهر و رَسَت بواخرك على مينائها، نفثتْ فيك سمومها، و نهشتك بأنيابها القذرة ثم رمَتكِ في دهاليز لا مخرج لها، فلا تكوني مصيدة المظاهر،و لا يغرّنك الكلام المعسول، و الرّمش المَكحول، و الابتسام المُنير، و العيش اليَسير،و انكبّي على الإطلاع و المثابرة طلبا للنجاح، و تجنبي رفيقات السوء فهن مصدر البلاء، و قصة"سعاد" خير مثال على ذلك، فإذا اسْوَدَّتْ في عينيك الحياة فاستضيئي بنور الله، و إذا قسَتْ عليك الأيام فاستعيني بالصبر و الصلاة ، فإنّ من يملأ الإيمان قلبَه لا يشقى و لا يضل، و لا تزعزعه نوازل الدهر، و إن من يتوكل على الله لا تقدر عليه أمواج البحر و لا

مخالب العبَّاس الهَصُور، كوني أيتها الفتاة قَطاةً جميلة ، تمرح في عالم الطيور، لا بومة تحمل معها الشؤم على مر العصور ، و وَرْدَةً تنثر عبيرها بين الزّهور، لا شوكةً تخِزُ الأقدام عند المسيــــــــر.

** المَشيب **

مــــَالَكَ يا قلبُ بوَجْهٍ كئيبِ

غارِقــــًا وحْدكَ في حُزْنٍ رَهيبِ

مُظلمِ الطيّاتِ، مَقطُوعَ الوَريدِ

مُنشغِلاً بالبُكاء و النَّحيبِ

كالذي يَحْمِلُ أترَاحَ الأنامِ

و يُماشي كُلَّ أهْوالِ القلوبِ

هلْ سَقاكَ الدَّهرُ حَنْظلَ الخُطوبِ؟

أمْ خطفَ منكَ بسمةَ الحَبيبِ؟

أخَليلٌ قدْ غَدَرَا...

أم هُو جُرحُ مَخالبِ الجَميلةِ اللَّـــعُوبِ

أيْنَ أغاريدُكَ المَعْهُودةُ يا بُلبُلاً؟

بالأمس كانْ...

مُترنّحا ببُستانٍ خَصيبِ

راكضًا وَراء أشْباح الأمانِي

في الدُّجَى العمْياء...

و كلِّ الدُّروبِ

زاهيًا في الأفق الرَّحْب الجميل.

***

و انفجر القلبُ و قالْ:

يا رفِيقي...

لسْت أشكو همَّ أرْزَاءِ الزّمان

أو لظــــىَ الهيامِ بحُسْن لَعوبِ

إنَّما على شبَابي لهْفتي،آه!!

لحَظات انسكبتْ ...

انسكابَ مَاءِ جَدْولٍ طـَرُوبِ

صَاح.. إنَّ اليَوْمَ جفَّتْ

عيْنُ ذاك الشـــــؤْبُوبِ

أقصِدُ يا لائِمي على ضَجَري

قدْ تحسَّسْتُ تبَاشيرَ المَشيبِ.

** بائعة الحلويات **

ها هي الشمس بدأتْ تتأهّب للمغيب...

و ها هُو القدَرُ يشاء أن تغيب عليّ تلك الشمس في إحدى المدن التي لم يسبق لي زيارتها من قبلُ،فاهتديتُ إلى أحد الفنادق و استأجرت غرفة أبيتُ بها حتى الصّباح، بعد ذلك خرجت و رحتُ أسِيرُ في أزقة تلك المدينة، أتفرّج على دكاكينها و بَهْرجها ، كانت أنفاس الشتاء باردة تكاد تخترق معطفي الأسود لكن رغم ذلك جرّني الفُضول و رُحْتُ أصُول و أجول ، حتى كِدْتُ أن أتِيه، و سرعان ما مَدَّ الشتاء يَدَهُ إلى وجه السماء و غطّاهُ برداءٍ رمادي مكمَّش، ثم بدأت حُبيبات المطر تتهاوى شيئا فشيئا ، و تمازج أشعة القناديل التي أشعلها حارس المدينة محاولا أن يُعوِّض بها بعض نور الشَّمس،فترتَسِمُ أمَامَك لوحة فنية بديعة الجمال تنبض بالرومانسية الحالمة، فالتقطتُ صورة تذكارية بإحدى

الحدائق الجميلة و رحتُ أسير مُستمتعا بذاك الوقع الهادئ الذي تُحدثه حبَّاتُ المطر على الأرصفة، لكن للأسف اشتددت الأمطار، فكان الفِرار هو الخيار،و دخلت أقرب الدكاكين، فصادفت الحلويات على كلِّ الألوان، و بينما أنا أحدق في تلك الحلويات اللذيذة انبعث إلى مسمعي صوت شبيه بالهمس يقول: نعم يا سيد،" بالفرنسية"، فرفعتُ عيني ، فإذا هي فتاة لا تتجاوز العشرين، سُبحان مُصوِّرها!كانت ذات قدٍّ و جمال، بِفَرْعٍ غَزيرٍ أصفر يتدلى على كتفيها كأنه مصنوع من شعاع الشمس و عينين زرقاوين بلون البحر تسبح فيهما أرواح الطهر و البراءة، و وجنتين ورديتين تبدو عليهما ملامح التّعب، و شفتين مُشهَّدتين عليهما ابتسامة تشفي القلب من كل العِلَلِ، فَرُحْتُ أحدِّث نفسي و أوحِّد الله، وهي ماثلة أمامي تنتَظر مَطْلبِي،أما أنا فكنت ساهِيًا ناسيا كل شيء،إلى أن أشارت لي في ظُرف وبصوت شبيه بزقزقـــــــــــة

الحَسُّون مُبتسمة، قالت: أمَامَنَا عَمَلٌ كثير يا سَيِّد، فتفَهَّمتُ الأمر و طلبت منها أن تزنَ لي قليلا من الحلويات على مَذَاقِها،فكان ذلك، ثم جلستُ بإحدى طاولات المحل آكلُ رغما عنّي، و أنظر إلى تلك اللوحة الرّائعة، لا لذَّةً و استمتاعا، لكن حسرة و تألُمًا و حيرةً لم أعرف سببَها.

في تلك اللحظات دخلت المَحَلَّ امرأة ترتدي عباءة و خِمارا باليَيْن، مُبرْقعَة بنِقابٍ أبْيَضٍ عليه بُقعٌ من الزيت، حاملة بذراعها اليمنى رضيعا و تجرُّ بيُسراها طفلا مُمَزّق الأسْمال، حافِيَ القدمين، على جبينه مكتوبٌ بحروف من ضباب كلمة - يتيم- راحت المرأة تدور حول الطاولات ، تَسْألُ بعينين بهما انكسار و ذلّ،فهذا يُعطيها و ذاك ينهرها، و آخر يكتفي بالقول"الله اينْوب" إلى أن وصلت إلى الفتاة بائعة الحلويات، فرَقّتْ لِحَالها و أشفقت عليها و كيف لا؟ فمِنْ غير المعقول أن تحْملَ تلك العصفورة المُزركشة الجناح قلبا

قاسيا، ثم حملتْ كيسا وضعت فيه من كل أصناف الحلويات و مدّت يدها لِتُعطيها للمُتسوِّلة،فدَاهَمَتْهَا العَصَا الطويلة بضَرْبةٍ مُوجعة في يَدِها الطرية، فتبعثرت الحلويات في كل أرجاء المحل!!نعم لقد داهمتها عَصًا صاحب المحل. كان العجوز الأقرَعُ، منتفخُ الكرش، مُشوّه الأنف، مُمْتَدًّا على أريكة في زاوية من زوايا المحل، يَلُوك سيكارةُ بأسنانه الصفراء و يتابع كل صغيرة و كبيرة في المحل، بعد ذلك نَهَضَ بصعوبةٍ و صرخ في وجه الفتاة البريئة: كوني سخِيَّةً كما شئت، لكن عندما تكونين في مَحَلِّ أبيك..أفهمتِ؟ ثم خرج يُتمتم و يلعن و يشتم، فانتبه الزبائن و تركوا ما في أيديهم و راحوا يتكلمون كُلٌّ بلُغته و منهم من خرج، أما أنا فنظرت إلى الفتاة جيدا فرأيت دمعة تراقصتْ بُرهةً من الزمن على حَدَقتها ثم انسكبت من مَوْقعها كحَبَّةِ لؤلؤ، لكنها سُرعان ما رفعتْها بابتسامة مُصطنعة ترحيبا بزبون جديد

دخل ليشتري ما طاب له من الحلويات، في تلك اللحظة ، راحت الأفكار و التساؤلات تتلاطم في رأسي حتى أحسستُ به يكاد ينفجر، هل كانت الفتاة تبتسم حقا؟ و ما الذي جاء بمثل هذه الصبية الشبيهة بِفلقة القمر إلى محلّ هذا العجوز النّحْس؟.

ثم قمتُ و دفعت لها الحساب و شكرتُها، فقالتْ: إنّكَ لم تُكمل الحلوى الموضوعة على طاولتك، ألم تعجبك؟ فصمتُّ قليلا مُجيبا إياها في قرَارَةِ نفسي: هَمُّكِ أحَالَ حَلَقي أمَرّ مِن العلقم! ثم قلتُ مُداريًا ما يختلج في صدري، مُمازحا إياها عساها تفتح لي المجال لأسألها عَمَّ يجول في خاطري: ألم تعرفي يا صغيرتي، أن مَعِدَتي ليست إلا كمَعدَةِ عُصفور صغير يكتفي بأكل حَبة أو حبَّتين من القمح فقط، فابتسمت، فقلت: أحيِّي فيك روح العمل، فردَّت بعفوية، أيُّ عَملٍ لعينٍ هذا؟.

- و ما الذي جاء بك إلى هنا؟

- تنهدتْ و قالت: أبي أرغَمَني على ذلك، نعمْ أرغمني كي أكون عارضة تفتح شهية الزبائن، و عَبيرًا متناثرا في الهواء يجذب المارَّة إلى المحل، لِحساب ذاك العجوز الوقِح صاحِبِه.
عندئذ عرفتُ حَجْم معاناة تلك الفتاة الرقيقة، و كي لا ألفت الانتباه حَيَّيتُها و شكرتُها ثانية و انصرفت، و رحتُ سائرا تحت وابل المطر غير آبهٍ بوقعِه على جسمي، نعم رُحْتُ أسيرُ في شارع طويل و المطر يتهاوى فيبَلّلني من كل الجهات، لكنني ما كنت أحس ببرودته لأن وابل التساؤلات هَجَم على رأسي مثلما يهجم خَميسُ الجراد على المَمْلكة الخضراء، فرُحت أحاول طَرْدَ تلك الأفكار و التساؤلات لكنها كانت تتهاوى من السماء في زحام، و تخرج من أنوار الأعمدة الكهربائية كالحَيَّاتِ الظمآنة. حاولت أن أطمِسها برَمَادِ الذكريات، لكن الرّماد نسفَتْهُ بقايا أنفاس الفتاة التي استنْشَقتُها حينَ كنتُ أحاورها و احتفظتُ بها في صدري.

لماذا ينتابني هذا الشعور بالإشفاق و التّحيّر بشأنها؟ و ما شأني و شأنها؟ فأنا مُجرد عابر سبيل.

لماذا يُحدّق الناس في جمالها السّاحر الفتان،و يتعامون عن أشباح العذاب المرسومة على مُحيّاها؟.

هل كانت تلك الفتاة تبتسم حقا؟ و لِمَ كان الغشاء الأصفر يُغَلّفُ ابتسامتها؟ ألا تحلم تلك الفتاة ببعْل و بيت و حياة سعيدة، و رضيع ينهل منها الحنان و يخاطبها بلغة الملائكة، و هي تضمُّه إلى صدرها في غبطة و سرور؟ لماذا كانت ترسل خصلات شعرها مع التواءات النّسيم و تتركها ظاهرة للعيان دون حياء، و هل كان لها الحظُّ الوافر في نيل قسطٍ كافٍ من التـــَّــوْعيةِ و التوجيه؟.

كنت أمشي مُصارعًا ضوضاء نفسي في عالم غير هذا العالم مُنصتا إلى صوت تناطح الأفكار في حَلَبَة ذهني، و في تلك االلحظات سمعت صوت كَبْح دامَ بعض الثواني، فالتفتُّ فإذا

هي سيارة كادت تصدمني، فوقفتُ مذهولا و قد جَمُدَ الدّم في عروقي، لقد أدركت أنني توسّطتُ الطريق دون أن أشعر، فاعتذرت لصاحب السيارة ثم أكملتُ مَسِيري، لكنَّ قوى خفية جذبتني فعدْتُ أدراجي إلى بائعة الحلويات مزْمِعا أن أحدِّثها طويلا، و ما ساعدني على العودة هو الصّحْوُ الذي عمَّ المدينة بعدما كان الجو ممطرا مُعكرا، فرُحت أهرول تارة و أجري تارة أخرى، إلى أن وصلت لكن للأسف المحل قد أحْكِم إقفاله، و الفتاة ابتلعتها ستائر الليل السوداء، فنظرتُ إلى ساعتي فوجدتها تشير إلى التاسعة ليلا، فعدتُ مجدّدا إلى المسير وحدي في ذاك الشارع الطويل،و السماءُ تنثر آخر دموعها شفقةً عليّ و عليها و النسائم تلتوي حول رقبتي و تلثم خدودي ببرودة، بين الفينة و الأخرى يظهر البرق بوميض كأنه وميضُ بَتَّارٍ وَهّاج أستُلّ مِنْ غِمده ليُنير لي الطريق لبعض الثواني، كنت سائرا متحسِّرًا مُنصتا هذه

المرة إلى وقع كعب حذائي على الطريق، ثم سمعت صوت أقوى من وقع حذائي و أقوى من الرعد، صوت دَنْدَنَ في أعماقي قائلا:

كَفاكُم أيها الناس احتقارا للنساء!

كفاكم أيّها الناس إذلالا للصبايا.

دَعُوهنَّ يعِشْنَ على فطرتهن كما خلقهن الله سبحانه و تعالى، دَعُوهن يَعِشنَ طفولتهن عُقودا من اللؤلؤ في جِيدِ الأسرة،و صِباهنَّ زهورا أسقوها بالعطف و الحُنُوِّ و الرعاية في ظل الناموس الإلهي و الدستور الربّاني الذي يُكسبُهنَّ شذى عَطِرًا و رُوحا عسلية.

أحرصوا على إعدادهنَّ، ثُمَّ أهْدوهن غزلانا سوية الشمائل إلى أزواجهن، مستورة بالعلم و العِفّة و الطُّهر، و مكْسوَّة بالحياء و الأدب، فذاك هو حقا زينتهن و تاجُهن و رونَقهُنَّ.

لا تحْشُروهن في زحام مع الرجال، فإن ذاك هو مَولد الفتنة،

العمل شرف لكن السّتر بالنسبة للمرأة هو الأوْلى، حالُه حال الملح بالطعام. لا زلت أذكر القصة التي ذكرها الشيخ نَوّاف المُورقي قائلا:"جاءت فتاة نصرانية لأحد العلماء و قالت له أنا عرفت الإسلام كثيرًا و قَدْ أُعْجبت بهذا الدين و أحكامه و أحببْته حُبا كبيرا، و لكن حُكما واحدا صار سببا لِعَدَم دُخولي في الإسلام، و قد ناقشتُ فيه عِدَّة أشخاص و لم يُقنعني أحد، فإن استطعتَ أيها العالم أن تبين لي فائدة هذا الحُكم، أعِدُك أن أدخل الإسلام، فقال العالم : و ما ذلك الحكم؟ فقالت حُكْم الحجاب على المرأة، و لماذا لا تُترَك سَافرةً كالرجال؟ فقال العالم: هل ذهبتِ إلى سُوق الصَّاغة؟ أين تباع المجوهرات و الذهب ، فقالت نعم، فقال العالم: هل رأيتِ أن الصائغ قد وضع الذهب و المجوهرات في الصندوق و قفل باب الصندوق؟ فقالت الفتاة: نعم، فقال لها: لماذا لم يترك المجوهرات في متناول الأيدي؟ فقالت: لكي

يَحْرُسَهَا من اللصوص و الأيدي الخائنة، فقال لها العالم:
و هذه هي فائدة الحجاب".
أرأيتم أيها الإخوة كيف أقنع العالم الفتاة النصرانية؟.
رحم الله هذا العالم الجليل،فقد كان دليلُه، نِعْمَ الدّليل!
أيها الناس: أدّوا حقوق الأمهات كي يتسنى لهن أداء ما عليهن و إيصال رسالتهن التربوية على أكمل وجه ، وَقِّرُوهنّ و أكرموهن في كبرهن ، فإن الشجرة حتى و إن طال عمرها فهي أيضا في حاجة إلى جَدْوَلٍ يُروِّيها.

أمَّا أنت أيتها الفتاة، فتاة اليوم الواقفة مثل الوردة في وسط بستان الحياة بين رياح الشمال و الجنوب و تحت الأعاصير و الرعود، كوني حذِرةً من الشتاء الذي يأتيك في ثوب الربيع، فإنَّ رِيَاحَهُ مُكسرة ساقك لا محالة ، و من الشاب الطائش الذي يأتيك في صورة الحَملِ الوديع،و هو يحمل بين أثوابه شِبْلاً مُناهُ نَهْشُ لحمك الطري، يأتيك ليطير

بك في آفاق مجهولة بعيدة باسم الحب و الوفاء و التضحية و باسم التَمَدُّن و سائر العبارات الرنَّانة و الكلمات المعسولة .
كوني يقظة فالحب حقًّا عسلٌ مُتقاطر، فإن خالطته العِفة و الطهْرُ،كان دِبسًا على عسل، و إن خالطه المُجون و الطيش، كانت جُرعته الأخيرة أمرٌ من الحنظل.
لا تَثِقي حتى في نسائم السَّحَر، فإنها تأتيك عليلة لطيفة، فإذا احتضنتها بأكمامك الدافئة، و مَدَدْتِ لها خُدودك كي تُقبِّلك قُبُلات الصباح،فإنّها قد تتحول في رمشة عين إلى رياح عاتية تكسِّر ساقك، و تُشتت وريقاتك، ثم تنثرها على أديم الأرض فتدوسها النعال و الحوافر.
يقولون لك يا فتاة اليوم اخلعي عنك الحجاب و سِيري سافرةً مثل الرجال باسم المساواة، و دعينا نَرَاكِ على حقيقتك تَحَجّجًا بمُسايرة العصر و امتطاء صَهْوَةِ الموضة، فإن أذعنت لهم نسجوا لك أجنحة الأماني و الأحلام لتُحلّقي في

فضاء غَرْبي بعيد عن الفضاء العربي الأصيل، مستعينين بالمسلسلات و الأفلام المُزغْزعة للمُهَج، المؤجِّجة للنيران في القلوب، و ذلك لاستمالة قلبك الهش، فإذا تسنى لهم ذلك دعوك إلى الإبحار في مُستنقع المُتعة، إلى أن تأخذ عقلك سكرة المُجون،فتضعفين لا محالةَ و كنتيجة حتمية تستسلمين فتقذفك الدوّامة إلى أعماق الأعماق، إلى الجحيم و العذاب.

و عندما تستفيقين من غفْوَتك و تتفتَّح عينك على شعاع الحقيقة، حين لا ينفع الندم و لا عَضُّ البَنَان تركضين لاهثة ، باحثة عن ذاك الذي كان يُصوِّر لك حياتك أقصوصة جميلة، و يفرشُ دَرْبَك بزهور وَهْمِية، فلمّا تدركينه، و تطلبين حقك في السِّتر،ينظر إليك بعين ملؤها الاشمئزاز و الاحتقار، و يقول لك ببرودة: أنا لم أجْبِرْكِ على شيء!

أو أنا لن أتزوج امرأة تُسَلِّمُ نفسَها للرَّجل بسهولة،أو غير ذلك مِن الحُجج الواهية،ثم ينصرف و يختفي في سراب الأيام،

فطاردي عندئذ السّراب!و لكِ أن تتصوَّري حال من يطارد السراب.

كانت ذاتي تخاطب المجهول في وُجوم تام،و أنا سائر في طريقي إلى الفندق الذي استأجرتُ به غُرفةً للمبيت بها، و لما وصلت إليها ، استلقيت على سريري،مُتمنّيًا أن تنقل الأرواح الخفية و جند الأحلام خِطابي ذاك إلى كلٍّ صبايا هذه الأمَّـــــة الغالية.

** أنَّـــةُ الشَّريدْ في يوم العِيد **

وحْدِي أسِيـــــــــــــرْ....

في دُروبٍ يغمُرُها الضّبَابْ

وحْدي أطارِدُ طَيْفًا مُبْهَمًا مِنْ سَرابْ

و أبْحَثُ عَنْ خَيالٍ لمْ أجِـدْ أثَرَهْ

جُزْءٌ هُوَ مِنّي ..

لكِنَّنِي أجْهَلُهْ

وَحدِي أسِيرْ...

في رُبًى جَمِيلةٍ و هِضَابْ

بيْنَ الغَوَانِي، عَذَارَى فِردُوس الرّبيعْ

على ضِفَافِ جَداوِلٍ لُجَيْنِيَّةٍ

تنصَبُّ بتكاسُل في البَحْرِ العَظيمْ

خَرِيرُهَا لحْنٌ:

أرَقُّ مِنْ لَحْنِ عُودٍ أوْ رَبَابْ
امْتطيتُ زوْرَقًا
و بِهِ اقْتَحَمْتُ هَوْلَ العُبَابْ
عِنْدَمَا مَللتُ المَسيرْ
لكِنَّ المَوْجَ العَنيدْ
ألقاني مِثلمَا يَفْعلُ بِهَمْشةٍ مِنْ زَبَدْ
فرُحْتُ أرَدِّدُ أشْعَارا و أناشيدْ
سَمِعْتُهَا ...
تُتلى عَلَى أرْصفة الأسَى
تَحْتَ المَطَرْ
وَ عَلَى قصْفِ الرُّعُودْ
لكِنْ...
لمْ يسْمَعْني أحَدْ
ضَحِكْتُ لِمَنْ حَوْلي

و لِلأسَـــــفْ...

كُلُّهُمْ لاهُونَ سُكارَى

ببَهــرْجِ العِيدْ

صَافَحْتُهُمْ ، فتَفرَّقُوا كأنَّ يَدِي

مَغْمُوسَةٌ فِي صَدَيدْ

عَزمْتُ عَلَى الرّحيلْ

لمَّا كَرِهْتُ البَشَرْ

فسِرْتُ إلى بَعِيدْ

حَيْثُ الهُدُوءْ

فِي كُوخ مُوحِشٍ مَهجُورْ

أغمَضْتُ عيْنِي، فجرّنِي الكَرَى

لِجزيرةٍ شذَاها عَليلْ

وَ طيْرُها غِرِّيدْ

أكلتُ منْ خَيْرِهَا

و جُلتُ في رَوْضِهَا

لا أعْيُنًا حَمْرَاءً تحْقِرُ الضُّعفاءْ

و لاَ بِهَا أيْدٍ أصَابِعُها حَدِيدْ

سَعدْتُ بذلك، و شَكَرْتُ رَبَّ العَبِيدْ

و مَا هِيَ إلاَّ دَقَائِقٌ حَتّى

أحْسَسْتُ بِضَرْبَةٍ فِي رُكْبَتِي

أيْقَظَتْنِي مِنْ سُبَاتِي اللّذيذْ

و مُنذِرٍ مَاثِلٍ قُبَالَتِي يَهْتِفُ:

إنْهَضْ أنَا حَارِسٌ بالضَّيعَةِ

قُمْ وَ ارْحلْ مِنْ هُنا يَا شَرِيدْ!!

** الإنسانُ و الحياة **

أنت أيّها الإنسان قطرة ٌ من هذا البحر الخضمّ ، مُتناطح العُباب ،بَحر الحياة!.

أنت أيها الإنسان شَامة ٌ على وجنة فتاةٍ نارية هيفاء متقلّبة المزاج، هي الحياة.

أنت يا خليلي شُجيرة في هذا البستان الفسيح واسع الجنَبات، بُستان الحياة، بين سائر الحشائش و الزّهور و الأشجار، تنعم بشعاع الشمس تارة، و تهزّ أغصانك العاصفة تارة أخرى، فتعيش تحت يد الطبيعة.

كنتَ بالأمس بذرة ً في أرضٍ مُظلمة، و هناك تشكّلتَ،فلمَّا أعلنتَ عن استعدادك لِعِناق الحياة، لفَظتْك الأقدار إلى حيث النُّور الذي سَكَبَ روحَه عليك، فتطاولتْ ساقك و تشابكتْ فروعُك و كَستَك الخضرة و النضارة، فأصبح لك كيانٌ و وُجـــــــــــود.

و تَمُرُّ عليك الأيام، فيَجيئُك الرَّبيع و يَمْسحُ أفنانَك ببَنانِه السِّحري، فيكسبك خدًّا مُزهرا و جمالا و اعتدالا و روحًا متدفقة بالزَّهْوِ و الحُبور، و أنتَ مُتنعِّمٌ بالعَبِيرِ المُتَضَوِّعِ من الزهور غير مبالٍ بالآتي، ناسٍ مُخَبَّآت الأيام،جاهلٌ أو مُتجاهل كَيْدَ الليالي...و أنت ترتشف من الثرى أصفى المياه و تعيش مُستمتعا بنهارك، فتارة تغازل أقحوانة و تارةً تُداعب بنفسجة، و طورًا تعانق عُصفورة أغريتَّها يبَهاء ثوبك و طِيبِ أفنَانِك، فاستدرَجْتَها إلى حَيثُ أحضانك، و أنت ساعَتَئذ زاهٍ بحظك مترنّم بحلاوة العيش، سائر بسذاجة في موكب الأيام، إلى أن يأتيك الصيف، فيطبَع شعاعُ الشمس قبلات و قبلات حارَّةٍ على أفنانك فتنتشي بها براعِمُك، و تتفتَّحُ طالبةً المزيد، ثم تتبرّج أغصانك بتلك الثمار اللذيذة، الشذية النفس، فتظهر وقتَ الأصيل كأنها عُقودٌ مُعلقة على صدرك، و أنت عروس بين العصافير التي تُرتّل ألحان

المساء باسمك،فيزداد عِشقك للحياة، و هيامك ببهْرجها، ويجتاحك طوفان النرجسية، ظنًا مِنك أن تلك اللحظات المُمتِعة هي الحياةُ ذاتُها، جاهلا أنها ليست إلا حلقة واحدة من سلسلة طويلة، سلسِلة الحياة.

وَ إذْ أنتَ في تلك السَّكرة إذ تمتد إليك الأيدي و تقطف ثمارها التي كانت تزينك، و تأكل الطير ما تبقى. تحاول الامتناع لكن بدون جَدْوى، فالقِوى غير متكافئة، فتحزن و تحزن لكن في آخر المَطاف تصمتُ و تكظم غيظك رغما عنك، و بعدما تتعرَّى كُليا من تلك الثمار تهبُّ عليك رياح الخريف في البدء هبوبا خفيفا و كأنها تُنْذرك و تقول: إني آتية فقاومْ إن استطعت!. تَهزُّك هزًّا تتساقط له بعض وريقاتك، فتتحيَّر و يَرْكَبُك الحُزن، بعد ذلك تَمُدُّ الطبيعة يدها إلى السماء، و تعصر بعض السحب، فتسقيك غيثا نافعا تمتصُّهُ عُروقك من الثرى الخصب، و هي بذلك تُعلّمُك أنه بمقدورها أن

تصنْفعك، فتبكيك ثم تمسح دموعك بكفٍّ حريرية، أو بإمكانها أن تجْرحَك ثم تُضمِّد جُرحك في رقةٍ و عطف ، ثم تهبُّ عليك رياح أشدُّ قوة من الأولى فتهتز لها أغصانك و تتساقط وريقاتك على أديم الأرض، و هي ترنو إليك بعين الأسى كاسفة البال، فترمقها بدورك بنظرات كُلُّها ألمٌ و شوق و لوعة، مُعبِّرا بها عن ضُعفك و صبرك، و كذلك تبقى الرياح تهب و تهب، إلى أن تنزع عنك بردتك الخضراء، و تحمل وريقاتك و تفرش بها الأرض، فتدوسُها الأقدام و الحوافر، و ترمي بها في المستنقعات و البرَك فتبُول عليها الضفادع!.

ثم يأتيك الشتاء مُزمْجِرًا، مُكَشِّرًا عن أنيابه كليْثٍ طاوٍ، تتطاير من عينيه عناصر الطبيعة الساخطة و يقذف فاهُ الرُّعود و العواصف و الصواعق، و في مخالبه تسْري روح الموت، ثم يُسَخِّر بعد ذلك كل تلك القِوى كي يجعلك فريسةً سهلة بين مخالبه، فهذه رعودٌ قاصفة تملأ قلبك رُعبا

وَ رهبة، يَعْقبُها وَمِيضُ البرق الشَّبيهِ بلمَعَان مُهَنّدٍ أسُلّ من غمده في وجهك، و تلك رياح عاتية تُصَفّرُ مُنذِرَة ً إياك بالهلاك. تطوّقك من جميع الجهات ، و تشدّ على عنقك بأصابع لا مرئية قاسية، مُحاولة أن تنتزع روحك التي تسْري في أوصالك، و ذلك بعدما يُخدِّركَ الصقيع الذي تجمْدُ أمامَهُ أغصانُك،بعد ذلك يتهاوى الثلج في هدوء و صمت، و يُكفّنكَ بردائه القطني النَّاصع البياض، ظنا منه أن عناصر الطبيعة قد أخذتْ منك الروح، ثم تهبُّ العاصفة كي تحملك إلى عالم الأرواح على بساطها، لكن سرعان ما تنفلتُ الشمس التي تحاول دومًا السُّحب السوداء الملبّدة حجْبَها عنك، فتحْرقُ بشعاعها بعض ذاك الكَفَن الذي كساك به الثلج، فتَنْتشي روحُك الكامنة في عروقك و التي بقي بينها و بين الموت مِقدار شِبْرٍ أو أقل، فتنتفض نَعمْ تنتفض من جديد بفضل شعاع الشمس، شعاع النور.

و بمرور الأيام ينزاح عنك ذاك الرِّدَاء الأبيض الذي كاد أنْ يزُفَّك عَرُوسًا إلى مدينة الأجداث ، و تهدأ العواصف و الأعاصير، و ينسحب عَرَمْرَمُ الشتاء، و يختفي في طيّات الزمان بينما يُقبل الربيع مختالا، فتتطوَّسُ الطبيعة من جديد.

ها قد عرَّتْكَ الحياةُ بالأمس و كسَّرتْ بعض أفنانك الطرية، و أرَتْكَ شتّى الأهوال، لكنها لم تتمكن مِنك كليا،لأنك كنتَ واقفًا في جلال صامدا صُمود أبي الهول في وجْهِ نوازل العصور،و لك أن تتخيّل لو لم يكن الصبر و الصمود من شِيَمِك.

و تمرُّ عليك الأيام و الليالي و السنين، و أنت في صراع مع الطبيعة، فتارةً تأتيك عروسا حلوة المَبْسَم، و تارة تأتيك في هَيئَةِ عَجُوزٍ مَاكرة، و طورا في هيئة وَحْشٍ ضارٍ ، كذلك هي الحياة، لأن الطبيعة ما هي إلا إحدى بناتها التي رضَعَتْ من ثديها شَمَائِلها و خصالها.

و كذلك تبقى مُتراميا بين أهوال الفُصول و عُطورها، مُتقاذفا بين مَسَرّات الأيام و مَوَاجعِها ، فإن صبرتَ و تَحديتَ أثمرت و كنتَ بطلا من الأبطال، و إن ضعُفتَ، فشلتَ فأذعنْت و أصابك الجنون و لو للحظات! فتذبل في أوائل أيام عمرك، أما إذا كُتب عليك الكفاح، فإنك تكدُّ و تكد حتى يملأ العرق الأسود جبينك، و عندما تجفُّ عروقك و تيبس أغصانك، و يقلُّ ثمَرُك، يأتيك الحطّابُ الذي يحمِلُ فأسُه رُوحَ الموْت و يهوى عليك به، فينتزع روحك منك، و يتركك مجرّد هيكل يتآكل بمرور الأيام.

ما أصبرك أيها الإنسان على طبع الحياة المتقلّب! و على هذه المُتناقضات التي تغزو أيامك،حلاوة ومرارة، حَرٌّ و قرّ،ألم و حُبور...إلى غير ذلك.

كفاحٌ مستمر إذن هي هذه الحياة يا خليلي، فقاومْ و قاومْ كي لا يهزمك الموج المتلاطم و التيار الجارف من أجل

الوصول إلى ميناء الأمان و الطُّهر و اللاّعناء، ميناء ما بعد الحياة !.

اجعل صَيْدَكَ وافرًا و مُتنوِّعًا ، و كفاحك مُثمرا، لا ثمارا فحسب بل ثِمارا حُلوة أيضا.

أنثر أريجك في الفضاءات اللامتناهية، و ذرْةُ يبقى عالقا في الأنوف، فتذكركَ الألسنة، و تترحّم عليك.

اجعل لذكراك تتدفّقُ أنهار الدموع، و ابْن لنفسِك تمثالا في المُهج، و ارسم عليه شهدة يتقاطر منها ماء الحنظل، سَمِّها الحيـــــــــــــــــــــــــــــاة !!!.

** تنهَّـــدِي **

تنهَّدي يا شمْعةَ مُقْـلَتِي

تنهَّدِي ...

ففِي أنَاهِيدِك عِبْقُ الزُّهُورْ

تَنَهّدِي ...

يا مُنى قلبي، ففِي أنْفاسِكِ

نَفْحَةٌ سِحْرِيةٌ

مِنْ أنْعَشِ النَّفحاتْ

تنهّدِي ...

فَرَاشتِي

و انْسُجي لي مِنْ شَذَى أنْفَاسِكِ

زَوْرَقـًا

يُسافِر بي فِي عُبَابِ الدُّهُورْ

و يَمْخُرُ آلامَ تِمْثالٍ مُحَطَّمٍ
كَيَانُـهُ مَكْسورْ
تَنَهَّدِي ...
ففي أنَاهِيدِكِ انْتِفاضَةُ هَياكِلِي
بَيْنَ أرْواحِ الزُّهُورْ
و صَحْوَةُ رُوحِي
مِنْ بيْنِ آلافِ القُبُورْ
ثمَّ حُوكِي لِي بساطًا مِنْ حَفِيفْ
و ارْحَلِي
برُفقَتِي خَلْفَ البُحُورْ
إلى جَزيرةٍ سَمَاهَا الهَوَى
و أرْضُهَا الحُبُّ العَفيفْ
أزهارُها تَفُوحْ
و طيْرُها زاهٍ

مُنشَدٌّ في الجَوِّ لحْنًا لَطِيفْ

يُحرِّكُ فؤادكَ

مِثْـلَـمَا

يُحرِّكُ غُصنَ الشّجرِ النَّسيمْ

و إنْ هَوَى الدِّيجُور ، فغطِّيـنِي بالدُّجَى

تِلكَ الـتّي..

تَتَدلّى فوْقَ ظهْرِكِ الرَّهِيفْ

و وَشْوشِيِي في مَسْمَعِي

بكَلامٍ مِنْ عَسَلْ

و دَغْدِغينِي كَطِـفْلٍ

و اطْرُدِي عنِّي بقايا الخَريفْ

ثمَّ ارْسُمِينِي فصْلَ رَبيعِ

و لـــنَذْكُرْ معًا عَذابَ السِّنينْ

و ننْسِفَ أطْلالَ دَمْعٍ ذِرِّيفْ

تَنَهَّدِي ...

يا زهْرة عُمري

تَنَهَّدِي ففِي أنَاهِيدِكِ

سَيْفٌ هَوَى عَلى هَصُورٍ مُخيفْ

فلَوْعةُ الفراق في مِلـَّتِي

أيا حَبيبتي هَصُورٌ مُخِيفْ !

تَنَهَّدِي

تَنَهَّدِي ...

** المَقامَة الجامِعية **

حدَّثنا عَدلانْ ابن شعبانْ قال:

" كنت في طريقي إلى الجامعة سائرْ، كاسِفَ البال حَائرْ، أفكِّرُ كيف تنْقضي ساعةُ الدرس، في ذلك الحَرِّ النَّحْس، و مع ذاك الأستاذ القاسِي العَابس، الذي يُهيّج صُداعا في الرَّأس، و يملأ نفسِي بالقنوط و اليأس، و إذ أنا كذلك إذ صادفتُ فتاةً شَعرُها نُسِج منْ خُيوط الشَّمْس، هَيفاءٌ جميلةْ، تنبعثُ منها نَفحاتٌ علِيلةْ، فراحتْ تمشي في اخْتيال أمامي، كأنّها واحدةٌ منَ اليَمامِ ، رشيقة كأنها مرسومة بريشة رَسَّام،كانت في زيِّها الحضري تتبَخْترْ و يتضوَّعُ مِنها مسكٌ و عَنبرْ، أمَّا أنا فدِمائي في عروقي كانتْ تتبخّرْ، و قلبي في قوقعَتِهِ راح ينْتفخ و ينتفخُ حتّى كاد يتفجَّرْ، فلمْ أطِقْ السُّكوت المُمِلْ، و رُحتُ أستَلطفُها و أجامِلُها بالقوْلْ: رفقاً بِقلبي أيَّتُها الفتاةْ، ارْحمي عاشقًا أيتها المَهَاةْ، أنصتي إلى كلام شاعرْ،

هامَتْ روحُهُ بحُسْنِك البَاهِرْ، جُودِي عليه بالابتسامْ، و ذريهِ يتغَنّى باسْمِك طِوال الأيامْ، مُزَخْرفا إيَّاهُ بأحْلى الكلامْ، شاديًا مُترنّمًا نشْوانا بالغرامْ.دعوتُ الله لها الحِفظ مِن عُيون البَشَرْ، لكنّها بقيتْ تتبَخْترُ و تتبخترْ، ألحَحْتُ عليها علّها تقولُ: آمين! لكنها لمْ تنبسْ بكلِمةٍ أو كلمتينْ، و رُبّما لم تكنْ مِن المُنصتِينْ، و لمَّا همَّتْ بقطْع الطريقْ، فجأة جاءتْها سيّارة بسرعة البرقْ، فلو لا حِفظُ الله لها لكسَّرتْ عظامَها، و أهرقت دماءَهَا، فركبَ الفتاةَ الذعْرُ ، و كَسَا وجههَا اللّون الأصفرُ، فتقدمتُ إليها و رُحْتُ أعْتذرُ، لكنها بمُجرّد أن استرجعتْ أنفاسهَا عَادَ إليها كبْرياؤها، و راحتْ من جديد تتبخترُ، فواصلتُ المَسيرَ خلفها أنْجَرُّ و أقول: لوْ لا دُعائي لكِ بالسّتْر لسُيِّرْتِ الآن إلى القبْر، و لو قُلتِ: آمينْ، أو أجبْتِني بكلمتينْ، لما رَكبكِ بَتَاتـًا الفزَعُ و لا فتّتَ رُكبتيك الهَلعُ. ابتسَمَتْ إذ ذاكَ الفتاةُ و قهقهتْ،فقلتُ في نفسي:إنّ الحيلةَ قد انْطلتْ،و طلبتُ منها

رقم هاتفها لكنها أبَتـتْ، هدّدْتُها بالانتحار إنْ هي أصَرَّتْ، و بعد جُهدٍ جَهيدٍ وافقتْ، و من جيبها قُصَاصة ً و ظرفًا و قلمًا أخْرَجَتْ، ثم في إحدى الزّوايا توقفتْ و التفتتْ إليّ و قالتْ: سأكتب لك رقم هاتفي على شكل جوابْ، لكن عِدْنِي أن لا تفتحَهُ حتى أصلَ إلى بيْتي و ألجَ البابْ، فقلتُ : سمعًا و طاعة ً يا مَنْ تركتِ قلبي يتخبَّطُ في العذابْ ، و بعد هنيهةٍ أعْطَتْنِي الظّرْفَ في دَلالْ، و انصرفتْ أمامي مثل الغزالْ، أما أنا فعُدتُ أدْراجي في بهجةٍ و حُبورْ، مترنِّمًا بالأشعار كالعصفورْ، فلمَّا ضمنتُ دخول الفتاة بيتَهَا ، وفاءً بوعْدي لهَا، رغم أن نفسي كانت مُتَلَهِّفَة ً لِمعرفة رقم هاتفهَا، فتحتُ الظّرْف المستورْ، فوجدتُ على القصاصة مكتوبٌ: خَسِئْتَ يا طـــــــرْطـــــــورْ!!!

فتصبَّبَ العرق من جَبِينِي، و سِرتُ ألعن جُنونِي، و أذمُّ نفسي، ثم تذكّرتُ وقت الدرس، فنظرت إلى ساعتي، فإذا

بالدرس قد أصبح ضَرْبًا من الأمس، و في الغدِ، فوجئتُ بقرار الطردِ،لكثرة الغياب و التّعَوُّدِ، فحَزنْتُ لذاك القرارْ، و أدركت أنه قدْ فَاتَنِي القِطارْ، بسبب ذاك الجمال الفاتن الغدَّارْ. تمّتْ حِكايتي يا أحبابْ، ذاك مصيرُ مَن يجري لاهثًا خلف السّـــــــرابْ !!! ".

** روْضـــــةُ الحبّ **

بالأمْس ...

كَانتْ بقلبِي دَمْعَهْ

و بَقايَا شمْعَدَانٍ

فوْقهَا خُطـَامُ وَلاَّعَهْ

وَ عَوَاطِفٌ بلاَ رائحةٍ

و زنْبقةٌ ذرتْ أوْرَاقها الزّوبَعَهْ

بالأمْس ...

كانتْ بِقلبِي جَوْعَهْ

و حَنينٌ مُبْهَمٌ

و هَوَاجِسٌ تُؤرّقُنِي

فتحْرِمُ مُقلتِي

منْ نَشْوَةِ الهَجْعَهْ

أمَّا اليوْمَ، و مُذْ عَرَفتُكِ

يا صَغيرتِي ...

و غزَوْتِ كيانِي بعَرَمْرَمِ حَنانكِ

نَبتتْ بقلبِي شمْعَهْ

فسَافرتْ عنْه تلْك الدّمْعَهْ

وَ حلَّ مَحَلَّهَا

بُستَانُ نُورٍ ...

كَسَا رُوحِي بأسْمالٍ لَمَّاعَهْ

بالأمْس ...

كانتْ حَيَاتِي

مُجَرَّدَ لَحظاتٍ رَاكِضَةٍ

مَا بِهَا أريجٌ وَ لا طعْمٌ و لا نُكْهَهْ

أمَّا اليوم، و مُذْ اجْتاحَنِي

طُوفانُ حُبّك

لمْ تَبْقَ في سُبُلي..

جَمَاجِمُ الحُزنِ المُبَعْثَرَة

و لا الظّلامُ ، و لا الرَّتَابةُ القاتِلَهْ

بَلْ أشرقتْ مُدنُ صَدْري

و غادرتِ الهَواجسُ أرْضي

حيثُ اللاَّرجْعَهْ

أسَائلُكِ أيَا ...

مُحرِّرَتِي من زنْزانةِ الوحْدةِ

كيف استْطعتِ إحَالتِي إلى جدْوَلٍ

زاهٍ حَبُورْ؟

بَعْدما...

بالأمْس، كنتُ طـَلَلا

مِنْ قـَدِيم العُصُورْ

تـُجيبُني رُوحُكِ

التـي تتوسَّدُ مفاصِلِي

و تتـرَوَّى مِنْ طـَلاً مُقلي:

و كيف تلطـّفُ نسَائِمٌ لا تُرَى

مَوْجًا إذا أزْبَدَا

رَأيْتـَهُ ...

مِثلَ ضِرْغَامٍ مُخيفٍ هَصُورْ ؟!

و كيف تـُحِيلُ دُودةٌ

وُرَيْقاتَ الخريفِ إلَى حَرِيرْ؟!

** الرّســـالةُ الأخيرة **

ها قدْ تآكل من عُمري عـــام ...

و ها قد مَرّتْ أيامُهُ و سُويعاته،و دقائقه،و ثوانِيه مُرُورَ غيْمةٍ شتوية متباطِئَةِ الخُطى في سَمائي، بعدما كانت بالأمس تَمُرُّ راكضـةً أمامي كغزال زاهٍ بالحياة، نشوان بعبير الزهور، مَلـيءٍ قَلبُهُ بالأحلام.لقد طويتُ صفحة من صفحات حياتي، حقّا كانت صفحة بلا نكهة، سُطورها مُخَطّطَةٌ بالدموع، و مُحتواها جِراح تأبى الاندمال، و بعض الكلمات المبعثرة هنا و هناك، مكتوبة بألوان شتّى، و نابضة بالحزن و الألـــم.

ها أنذا ألبس ثوب الحِدادِ احتفالا بذكرى الطّعْنَةِ التي تلقّاها قلبي في مثل هذا اليوم قبل عام، لا حُزنا على قريب واراه التراب، و لا عَالِمٍ كان علمُه مثل شعاع النور الذي يشقّ عتمة الظلام فينير لي السُّبل،بل على رُوحِي الميِّتة بمَوْتِ الحب في قلب ذاك الإِلفِ، الذي كان يُطعِمُها شَظايا قلبه

و يسقيها العَطْف و الحُنُوّ.
في هذه اللحظات التي أكتب فيها الكلمات بيَراع صَنعْتُهُ مِنْ كَيَاني و حِبْرٍ اعتصرته من مُهْجَتِي، يُرسل إليّ مِذياعي الصغير ألحانا، بل مَقَاطِعًا من نَحِيب العُودِ، فأحسُّ و كأنها تقطع ببطئ قلبي بشفرة حِلاقة، ثم تصُبّ فوق تلك الجراح لوَاعِجَ الصَّبَابَة العارمة!
لماذا تفعل هذه الألحان بقلبي هكذا؟ و لماذا تسْخَرُ الأيام مني؟ لماذا تسيلُ الدُّموع من المَآقِي بلا إيعَاز؟ فتُجَعِّد وجنتي قبل الأوان، أذَاك مِنْ طبع الحياة؟ هل آن لها أن تَعْبسَ في وجهي بعد ما كانت بالأمس على ثغرها نُثَارةُ اللُّؤْلؤ ؟ أمْ أنَّ القدَرَ الذي زَخرف حياتي منذ مدة بسعادة الحب، قد رأى أنني لم أصُنْ تلك الوديعة و لم أعْطِهَا حقَّها من الرِّعاية الكافية، فهمَّ باسترجاعها ليمُدَّها لغيري، و لم يكْتفي بذلك

فحَسْبُ بل عاقَبني و قذفني من تَخْتٍ حريري مُطرّز إلى مَخالب الأسى، و تَرَكَ جِسمي يتآكل من الهَمِّ و الكآبة، مثلما يتآكل الحَديدُ من الصَّدَأ.

تساؤلاتٌ كثيرة و أفكار مَسْمومة تجتاح رأسي و تطحن عَنَاصِره،فتجعلني كالثّمِل بلا خمرة أو كالمجنون بلا جنون!

نَسألكَ اللّهُم لُطفًا في قضائك..

أنا أعلم يا مُنى القلب أنكَ تُحبّني، و أن الجمْرة التي تتوقد في فؤادي هي نفسها التي تَحْرق عروقكَ، و أن الفُراق لا يزيدها سِوى تأجُّجًا لكنّها مشيئة الله و حِكمته.

أنا لا أخاطبك بهذه الكلمات الرنانة تَكلُّفًا بل ما أنا إلا مُترجمة لِمَا يُمْلِيهِ القلب المُحبُّ المحترق، و لا طالبة منك رأفة أو شفقة لأنني أعلم أن كُلَّكَ الشَّفقةُ و الرحمة و الحُنوّ ، بل كي أستسمحك على ما قصَّرتُ فيه من حقك، عسى عقوبة الدهر تكون لي أخفّ.نسألك اللهم الصبر و السلوان...

لكنْ تيقّنْ أن الذّنبَ ليس ذنبي وحدي بل ذنب الأيدي الخفية أيضا،تلك الشبيهة بالرّيح المَلِيئَةِ بالغيرة و الغيظ، و التي تأتي وردةً جميلة في هيئة نُسيمات لطيفة و تُدغدغها، فتَأنَسُ بها تلك الوردة المسكينة و تأمَنُها، ثم لا تلبث تلك النسيمات ساعةً أو ساعتين و تتَحَوَّل إلى صُورتِها الأولى، رياحٌ عاتيةٌ تكسِّرُ سَاق الوردة، و تذرو أكمامها في الفضاء، أنا هي تلك الوردة المُغقّلة التي تبْعَثُ إليك على جناح الأثير ما تبقّى من أريجِهَا، آخِرَ الأريج، آخر رسالة!

بَلّغَنِي أيها العزيز أنك الآن تمْخُر المَوْج في بَحْرٍ غَيْرَ بَحْري و تُحَلّق في سماءٍ غير سمائي، و تتظلّلُ تحت شجرة لا فيها أوراقي و لا فيها ثِماري، و تشمُّ عبْق وردة ليست فيها رائِحتي، لكن رغم ذلك وَ رَغْمًا عَنّي أحببتك، و أحبك، و سأبقى أحبّــــــــــــك...

قد تأخذك الأيام مني، لكنها لا تقدر على أخْذِ طيفكَ الساكن خيالي و روحي و عقلي، و أنت تعلم جيدا أنني أدخلته إلى كياني منذ أعوام، و أغلقت عليه كل الأبواب و جميع المنافذ، و قد تأخذك امرأة مني و أنا أعلم أنها أخَذَتـْكَ و فات الأوان، لكن رغما عني أحببْتك، و أحبك،و سأبقى أحبـــــــــــك...

لا تقل أن هذه الكلمات التي أتلفـّظُ بها ليست سِوى خطوطا مرسومة على الْرمال، تَمْحِيها الرياح بمُرور الأيام، أو هي أنـــّةٌ تَهْمد بمجرّد اندمال الجرح ، أو أنّ الزمن كفيلٌ بأن ينسي تلك الفتاة صَدْمَتَهَا،بل قلْ إنها تَقَشٌ على قلبي لا يَزول، وَشْمٌ على جَبِيني لا ينْمَحِي، و عَهْدٌ قطعتـُه على نفسي أنّنِي أحببتـُك،و أحبـــــــك، و سأبقى أحـــــبّك...

لِمَنْ أبُثُّ أنِيني أيُّها الـعُشـَّـاقْ

فرَوضَـةُ القلبِ بنَارِ النَّوَى فِي احْتِرَاقْ؟

و مَنْ يُكَفْكِفُ دَمْعًا جَارِحًا جارِفًـا

كَوَابـِلٍ مُتَهَاطِـلٍ مِنَ الآمَـاقْ

و مَنْ سِوَاكَ يُواسِينِي أيَـا مَنْ مُهْـ

جَتِي إلَيْهِ فِي لَظـَى و لَهْفَةٍ و اشْتِيَـاقْ

خِتَامُ رِسَالَتِي ، أهْوَاكَ حَتَّى المَمَاتْ

وَ لعْنَةُ اللهِ عَلَى حَنْظَلَـةِ الفُـرَاقْ

إمضاء

" خُطَامُ امرأة "

** نـسَيمـة الصباح **

دغدِغيني يا نسْمة ً
دغـْدغيني..
و اصنْعي مِنّي طِفلاً
يَحْلمُ بدِفـْءِ حُضـْنِكِ
وَ رِقــّةِ لمَسَاتِكْ
أنْسُجِي لِي مِن عِطرِكِ أقــــمِطة ً
غَلِّفِينِي بِها وَ لاَ تَسْأليني
عَنْ مُغَامَراتي، و لا عَنْ حَيَاتي
فَأنَا بَيْنَ رَاحَتَيْكِ أحِبُّ
أنْ أتنَاسَى كُلَّ مَا يُلْهِيني
عَنْ هَمَسَاتِكِ الرّقيقة
دغْدِغينِي أيَا رَفيقـَة َ صُبْحي

و اصْنعِي مِنْ أنفاسكِ

لِي شِراعًا ..

أتحَدَّى بِه العُبابْ

أو جَناحًا نَطيرُ بِهِ سَوِيًّا

خَلْفَ نُجومٍ و سَحابْ

دَغْدِغِينِي يَا سَاحِرتي

ففي أنَامِلِكِ..

سُكرٌ يُعَانِقُ رُوحِي

و جُنُونٌ يُغلـِّفُ مُهْجتي

بغِبْطةٍ مَا لهَا نَظِيرْ

دَغْدِغِينِي و طـَوِّقينِي،و دَعينَا نُسافِرْ

فِي مَوكبٍ مِنْ سَرابْ

فلقدْ مَلـَّتْ نفسِي

يا نُسيمة الصّباح

دقائقًا مِنْ عَذابْ

عَذابُ بُعْدِ عُصفورةٍ

لمْ يَصِلـنِي منْها مُنْذُ مُدّةٍ أيٌّ جَوابْ.

** مناجاة الحبيبة المجهُولة **

مُنذ قديم العصورْ...

لفظت الأقدارُ بذرة َ حُبٍّ مَجهولة في هذا الكون الفسيح اللاَّمُتناهي، فراحتْ تسبح بلا قيود، متفرّجة ً على الأجرام و النجوم و الكواكب،مُطلّعَة ً على أسرار ذاك اليَمّ العظيم، و في آخر المَطاف جذبتها قوة ٌ خَفية مني، فرسَتْ بميناء قلبي، فسقيتها بذاك السَّيل الدفّاق من دمائي فكان نتاجها وردة ٌ بهيّة المنظر، و هناك ترَعْرعتْ و كبُرت و بقيت تنثُر أريجَها العَطِر في دمائي، فتنتَعِشُ به أوصالي، و بمُرور الوقت أدمَنَتْهُ رُوحي، فأصبح جزءا لا يتجزأ منها، و بذلك أصبحت الوردة منبعَ نشوتي و مُعطِّرَة كياني، لكن مِحنتي معها كَوْني لا أراها إلا بعيْن رُوحي ، و لا أتحسّسُها إلا بأنامل ذاتي، و ذلك لا يكون إلا عندما أ ُطبق جفوني و لو للحظات، أو عندما تأخذني سكرة الرّقاد، فأ ُسافر إلى مدينة

الأحلام، لكنها سرعان ما تختفي بمجرّد أن تفتح عيني أصابع الحقيقة.

لماذا أيتها الوردة تحْرمِينَنِي من النظر إلى مُحيّاك؟ و قد جعلتُ لك من كَبدي وسادة، و من مُهجتي وطاءً ناعما و من دَمي سُلافة، لماذا أيتها المَهاةُ تَتَسَتَّرين عَني و أنا الذي بسطتُ لكِ فؤادي مَرْتعًا خصبا، و فجَّرْت لك من صدري ينابيعًا من الحنان سَقَيْتُكِ بها .

لماذا هربت من صدري و خرجتِ إلى عالم المرئيات؟ و أصبحت مُجرد خيال، فطالما ركضتُ خلفكِ ركضَ الضَّامِيء خلف السَّراب ظننا منه أنه بُحيرة ماء.

لماذا يُحِسُّ بك كياني و لا تراك عيني؟ ألأنَّكِ فريدةٌ في هذا العالم أم أنك لونٌ من المستحيل؟

لقد فتشت عنك في الوهاد و المُنعطفات، و البساتين و الحقول و بحثت عنك في حُمْرَة الشّفق ،و في شُعاع القمر،

و في عباب البحر، و دخلت من أجلك مُدن الخطر التي تحرسها أسْدٌ يتطاير من عيونها البطش و تحمل في مخالبها روحَ الموت، لكن لم يَعُد البحث مُجدياً ، فلا تزالين مجرد خيال، مجرد سراب!.

أناديك يا مُعذبتي المجهولة، فهلاً سمعْت ندائي ينساب مع نسيمات السَّحر، أو مع حفيف الشجر، هلا تحسّستِهِ مع دقات المطر، أو في قُبلات الزَّبَدِ لحُبيْبَات الرّمل و هو متقاذفٌ بين مَدٍّ و جَزْر.

أناديك يا صاحبة الروح الشاعرية و الجبين المُضَاء بنور الله، و العينين الواسعتين ذات مقلتين بلون التوت، و أجفان طويلة كأنها مصنوعة من خيوط الدِّيجور، و الابتسامة التي ينبعث منها بريق البلور الذي يحرق بَراقع القلب السوداء من آلام و أحزان و هُموم مثلما يحرق شعاع الشمس جلابيب الليل الطويل، أناديك فهلاً سمعتِ صوتي، بل أنيني من فوق

هذا الجبل الشامخ الذي انتهى بي البحثُ إلى ذ ُروته ، أناجيك يا مؤرّقتي، فإن كنت ذات روح عسلية و أنفاس رقيقة، أجيبيني!!.

و كذلك بقيت أصرخ و أنادي بأعلى صوت، لكن لا أحد يرُدُّ عليَّ غير صدى ندائي المنساب بين الجبال الواقفة في خشوع و جلال، و بينما أنا كذلك إذ ْ رأيتُ شيئا يتحرك على بُعد مَيْل أو ميْلين، فمسحتُ عيني و حملقتُ فيه جيدا، فإذا هو مُجرَّد خيالٍ، مجرد سرابْ !!!.

** جَدْولُ الحزن **

يا وَرْدتي الحَمراءْ
تبخْتَـري و امْرحِي
و عَانِقي النّسَماتْ
و راقِصي الطـَّيْرَ على إيقاع الخَريرْ
تمايَلي ...
فـُوحِي ...
فالحياةُ سِوَى دَقائقٌ فائتـَاتْ
تَطَاوَلي فَخْـرًا
و داعِبي النّرجسَ و الأقحُوانات
و استَقبلي مِنْ شُعاعِ الشّمس أحْلى القُبُلاتْ
يا ورْدتي الحمراءْ
جُودي على مَائي بطِيبِ ريّاكْ

إليكِ ضمُمّيني

و آنِسِي وحْذَتي

في حِنْدَس سِجْنِي

فلستُ سِواكِ غيْر جَدْوَلِ حُزْنِ

أيا سُنُونوة ً

في مُهجَتي كَبُرتْ

و في ضُلوعِي تفسَّحتْ و ترنَّحتْ

أهَانَ أنْ تُغادري قفصَكَ؟

و تهجُري قلبًا

أضْحَى يتفتَّتْ

ألَمْ تكُوني فِيهْ؟

بالأمْس تُغرِّدينْ

و مِنْ حُبيْبَاتِهِ اللّذيذةِ تأكلينْ

هلْ تذكرينْ؟

أمْ لا ...

إذْ كُنتِ مِنْ أنوَارِ مُقْلَتِي تَشْرَبينْ

هل تَذْكُرِينْ؟

عِنْدَمَا كُنَّا مَعًا سَابِحَيْنْ

فِي بحْرٍ واحدٍ

و كنتِ على أنغام الهَوى ترْقصينْ

أم أنَّ لألاءَ السَّبائكِ الصَّفراءْ

قدْ أعْمَى عَيْنَكْ

و بَطّـنَ قَلبَكِ بجِلدِ غُرابْ

فوَا .. أسَفي على الأيامِ البيضاءْ!

يا وردتِي الحَمْراءْ

تبخْتَرِي و امْرَحِي

كَمَا يَرُوقُ لكِ

لكِنْ دَومًا تذكَّري نَدَى عيْني

و نَغْمَةٌ مِنْ فؤادي تقولْ:

بِدُونِكِ لسْتُ سِوَى جَدْوَلَ حُزْنٍ!!.

** الطـّرْطورُ و الأفعى **

حدّثنا أحدُ الأصدقاء قال :

كان "حمدان" رجلا بَدَويًّا أمِّيا قليل الذكاء ، قصير القامة، هزيل الجسم، مُستطيل الوجه، ذو عينين غائِرتَين و أنفٍ مُفلطحٍ، و شَنَبٍ طويل، و كان غريب الأطوار بَطيء الفهم، فإنْ سألتَهُ سؤالا فإنّهُ لا يجيبك حتى تملّ منه، و من جوابه، و إن أسْمَعْتهُ نُكتة لبثَ وقتا طويلا و هو يفكّر في معناها، ثم ينفجر ضاحكا بعدما تذهب نُكْهَة تِلك النكتة.

حَدَثَ و أن نَزَل حمدان إلى المدينة، في إحدى أمسيات الصيف، و في جيبه بعض الأوراق النقدية من صِنف مائة دينار، فكان يَبْدو لنفسه مليء الجيب ، و راح يتجوّل في أزقّةِ تلك المدينة و يتفرَّج على بَهْرجها، مُتأمِّلا في الصبايا الجميلات تأمّلا غريبا فتَرَاه يمشي جاحظ العينين، ضاحكا بدون سبب، إلى أن انتهى به المسير إلى إحدى المقاهي ،

فجلس و طلب فنجان قهوة، و راح يرتشف تلك القهوة مُحْدِثـًا صوتا مَسْمُوعا مع كل جُرعة، ثم قام بمُجرَّد أن رأى فتاة مُقبلة من أحد الأزقة، تَسِيرُ مُتَمايلة كَالإوَزَّة، فانتظرها إلى أن وصلت إلى المقهى فقام و سار خلفها ناسيًا دفع ثمن القهوة حتى نبَّههُ صاحب المقهى، فرمى إليه وَرَقَـةً نقدية و راح يَتَتَبَّعُ الصبية على عجل مُندهشا من جمالها و فتنتها و اختيالها، مُستمتعا بِعِطرها الذي تنتعش بِلُقياه الأرواح، كانت عَواطفٌ شَتَّى تَغْلِي في ذاتِ "حمدان" حالُها حالُ حِمَم بُركان بدأ يتأهَّبُ للانفجار، حاول أن يُحدّثها لكنه لم يستطع أن ينبس بكلمة واحدة بل اكتفى بِتَتَبُّعها و إرسال قهقهة بين الفينة و الأخرى فكان يبدو كالسّكران، نعمْ كان سَكرانًا بالفتنة و الإغراء ، و زاده الحُمق سُكْرًا على سكْر.

و كذلك بقي يسير خلفها إلى أن وصلت إلى أحد الأحياء، دخلت إلى منزلها، بينما هو بقي واقفا أمام باب منزلها آملا

في إطلالة منها، فلما يئس و أحسَّ بالعصافير بدأت تعودُ إلى أوكارها و الليل مَدَ راحَتَهُ إلى الأفق،و بدأ يسكب سوادَه على المنازل الجميلة المتراصفة،والأعمدةُ الكهربائية راحتْ ترسل أضواء مَصابيحها على الأرصفة و الأشجار، مشى ضالاً شَارِدَ الذهن إلى أن انتهَى به المسير إلى فندق عظيم مُتعالٍ كأنه قصر، تلوح منه أضواء من كل الألوان و انبعث إليه صوت الموسيقى، فانبهر حمدان لِمَرْآهُ، كَوْنَهُ لم يسبق له رؤية مثيلا لهذا المبنى خاصة و أنه ترَعْرَعَ في الرّيف بعيدا عن ضوضاء المدينة، و لقد أحسّ بالجوع فسار نحو مطعم قريب، لكنه عاد أدرَاجَه ليُشبع فضوله، بمعرفة مصدر الموسيقى، و خبايا ذاك المبنى الضخم، فبحث عن مدخله فلمّا وجده دفع الباب، فأقبل رَجُلٌ ببذلة أنيقة، و تقدم إليه و استقبله بأجمل عبارات التّرحاب، فأحسّ "حمدان" بالعِزّة و أطلق قهقهة ذيّلها بالقول : شكرا، و دخل إلى بطن القاعة، فسَبَقه

النادل و قَادَهُ إلى طاولةٍ خاصة، ثم أعدَّ له كرسيا مُريحا مُزركشا وَ أوْمَأ له بالجلوس ، فجلس حمدان وتَمَطّى مُندهشا...

كانت القاعة واسعة فسيحة الأرجاء، مُحكمة البنيان، حِيطانها مُغلّفة بطبقة رخامية رائعة، و من أركانها تنبعث أشعة الأنوار الخافتة، المتعدّدة الألوان، المتناسقة مع صوت الموسيقى، فتتمازج و ترسم على الجدران مُنمْنَمَاتٍ جميلة، على كل طاولة بالقاعة موضوعة" كؤوس مخصّصة للنبيذ، يتوسطها شمعدانٌ، أما في وسط القاعة مِساحة فارغة لا بِها كراسي و لا طاولات، تتوسطها مِنَصَّة " مرتفعة بعض الشيء عن المجلس، يتم الوصول إليها بِصُعود دُرْجين مفروشة ببساط أخضر و مُخَصَّصة للفرقة الموسيقية، من هنالك على الطاولات، مُلتفّة " فتياتٌ شِبْهُ عارياتٍ من كل الأعمار، فهذه تتناول بشراهة وجبة العشاء، و هذه مُعانقة

لخليلِها و تلك ماسكةٌ سيجارة بيدها، و بين الفينة و الأخرى تأخذ منها نفَسًا،و ترسِلُه إلى أعماق صدرها، ثم تعقُبُها برَشْفةٍ من كأس المُدام الموضوع أمامها، و الكلّ في نشوةٍ و طـرَبٍ و حُبور، غير مُبالين، إنها الجاهلية الأولى !!!.

بقي"حمدان" يُحدّق إلى الفتيات الغريب مَنْظرهُنّ عن عينيه، إلى أن تقدّم إليه النادل و قال: عفوا يا سيدي، أتحْجز طاولة خاصة (بالفرنسية)؟ و قصْدُ النادل بالحجز في قاموس مثل هذه الأماكن، حجْزُ فتاةٍ من الفتيات الكُثْر لغرض الرقص،وكأنها سلعة من السلع!فلم يفهم حمدان قولَه، لكنه أشار له برأسه أن: نَعَمْ ظـَنًّ مِنْهُ أنه قال له: أتأكل؟!

بعد ذلك قدم له ورقة تحمل قائمة المأكولات و المشروبات، كان "حمدان" كما أسلفنا الذكر لا يُحسِن القراءة و لا الكتابة، فأشار بأصبعه إلى أحد الأطباق المرسوم على صفحة الورقة التي قدَّمَها له النادل، ففهم هذا الأخير أنه أمِّيٌّ، لكنه تَفادى إحْراجَهُ، و انصرف ليأتيه بمَطْلَبه.

و بعد هنيهة جاءت فتاةٌ في ريعان الشباب، مَكسُوَّةٌ بلباس شفاف، و شعرها الأسود الشبيه بخيوط الليل يتدلى على ظهرها العاري، و وجهها مَطليٌّ بالألوان و المساحيق و عِطـْرُها يَفُوحُ في كل الأرجاء، ثم حَطَّتْ يدها على كتف "حمدان" و قالت مبتسمة: مساء الخير، فالتفتَ الرجل متعجّبا و لم يستطع الرد ، و بقي مُحَمْلقا في وجهها، و في صدرها الهائج خلف قميصها الشفاف، ثم جلستْ بجانبه و راحت تُمرِّرُ أصابعها في دلال على رقبته و شعره، و قالت بصوت كله إغراء:ألا تحسُّ بي؟ فسَرَتْ في جَسَد "حمدان" رَعْشَةٌ لم يعرف لها مثيل مِن قبل و ظنّ الأحمق أنها مُغرمَة به، ثم دَنَتْ إليه أكثر و همست في أذنه قائلة: ألا أشربُ معَكَ كأسا؟ فردّ بنوعٍ مِنَ الارتجال: اشربي حتى مائة!فأشارت للنادل فجاءها مُسرعا، و أمَرَتْه لإحضار طـَلـَبَاتها، وْ ما هي إلا دقائق معدودة حتى زيّن الطاولة بأطباق من كل الألوان،

و وضع في وسطها زجاجتين من أجود الخمر، فراحت الفتاة تلْتهمُ الطعام بشراهة،و بين الفينة والأخرى تضع بيدها لُقمةً في فَمِ ذلك الأبْله، فيقـهْقهُ قـهْقـهَتَهُ المَألوفة، مُعبّرا بها عن أوجِّ فَرْحتِه،مُتعاميًا عن عاقبته، بعد ذلك صبَّت الفتاة في كأسيْن من تلك الخمرة الموضوعة على الطاولة فقدمت أحدهما إلى "حمدان" فتجرَّعهُ دُفعة واحدة، أما هي فأشعلت سيجارة و راحت تشرب و تشرب جُرعات ممزوجة بأنفاس السجائر، ثم طلبت المزيد و كأنَّ جوفها يسَعُ صهريجا !

و بعد قليل أقبل المغني - الذي طال انتظاره – في بذلة أنيقة، فبدأ الحضورُ يصفّقون و يُهلّلون مُرحِّبين بِبَدْرهم الذي شَقَّ نورُه عتمةَ الظلام، ثمَ حمل الميكروفون و صعد إلى المِنَصَّة و حيّاهم، فازداد التصفيق و الهُتاف، و راح أفراد الفرقة الموسيقية يضربون على المَعازف بِحَمَاسٍ ، فازداد صَخَبُ الموسيقى الراقصة،ثم بدأ المغني يعبّر عن أحاسيسه،

و يلخّص تجاربه العاطفية و تجارب غيره في كلمات تتراوح بين الحب و الغزل، الغدر و المال و الخمر، إلى غير ذلك في قالب بعيد كل البعد عن الفن الأصيل، و من حين لآخر، يُهدي أغنية من أغانيه خصّيصا لإحدى العاهرات المشهورات، عفوًا العاقِلات المشهُورات !!!

في تلك اللحظات كانت المشروبات الرّوحية كما يُسمُّونَها، قد لعبتْ بعقول الحاضرين ، و الألوان و الأضواء و اختلاطها أعْمَتْ بصائرهم، و فتنة الأجساد زادت أرواحَهم سُكْرا على سكر.

و لما حان وقت الكَسْبِ، و اجْتِثَاثِ ما في الجيوب قامت بناتُ المَرْقص المُتَضَوِّعات عِطْرا، و رُحْن يتمايلن مع الموسيقى بأجسادهن اللماعة، كما تتمايل ورود الربيع إذا هبّت عليها نسائم السَّحَر، ثم قام مُعظم الحاضرين و أبحروا في دوّامة من الرقص و الإغراء و المُجون، و لقد كان لبنتِ الكُرُوم

اللّعينَة صدَاها، فقد طيَّرت العقول، و تركت أعضاء الجسم تفعل ما لا تَعِيهِ، حتّى أنَّ رجلا كانت تبدو عليه سِمات الثراء، قام و راح يرمي بأوراق نقدية من صنف ألف دينار في الفضاء، و آخرون ترّاهُم يدفعون أموالا و أموالا إلى المُغني، مقابل كلمات ينطق بها، تتمثل في إهداءات إلى الأحبة ، أو إطراء و إشادة بالشجاعة و المجد و الأصل !يدَوْرها خليلة "حمدان" هزّتْها الموسيقى، فقامت و لحقت بموكب الرقص، ثم صعدت فوق الطاولة بعدما أزيحَتْ أمامها الصحون و لوازم الأكل الأخرى، و راحت تترنّحُ أمامه بتناسق رائع مع الموسيقى، بينما "حمدان" كان جالسا يُراقب حركات صدرها و خصرها و سائر أعضاء جسمها، فاتِحًا فاهُ غير مُصدِّق أنه في حقيقة، و بعد هنيهة تقدم منها صاحب المرقص، و وضع أوراقا نقدية من فئة ألف دينار بين قميصها و تَريبَتِها، فتحمّس "حمدان" و أخرج كل ما في

جيبه من أوراق نقدية و وضَعَها في نفس المكان، و قام و راح يُبدي حركات غريبة، بعيدة كل البعد عن الرقص، لقد نال منه هو أيضا ذلك الكأس الذي تجرّعهُ مَنَالهُ.

و كذلك بقي الجميع في شُرب و رقص و لَهْوٍ و مُجون، و ذاك حال المرقص طبْعا إلى أن بزغ الفجر، فبدأ الزبائن ينصرفون مُتمايلين متثقلي الرؤوس واحداً تِلو الآخر حتى فرغت القاعة، إلا "حمدان" بقي جالسا و كأنه لصيقٌ بالكرسي،رغم أن خليلته انصرفت أيضا لغرض النوم،واعدة إيّاهُ بِلَيْلَةٍ أخرى أبْهجُ و أحلى، كانت الساعة تشير إلى السادسة صباحا، لكنه ظلّ جامدًا رغم أن آخر زبون خرج أشار له أنه حان وقت غلق المرقص، و ذهاب العمال للنوم و الراحة، ألا ترى أيُّها القارئ الكريم أنهم بدَّلوا الليل بالنهار أو العكس !!

لما يئس منه صاحب المحل و ملّ من انتظار خروجه دون حراج، أرسل إليه نادلا يحمل فاتورة ً بها ثمن عشاء "حمدان" و خليلته التي حُجزت له !

تقدَّمَها إليه، فأمسكها هذا الأخير، لكنه لم يفهم فحْوَاهَا، و أشار للنادل قائلا: ما هذه؟ فردّ عليه بنوع من التعصُّب:

ذاك ثمن سهرتك.

- و هل نسهر بالنقود؟

- كفاكَ مُزاحا، هيا خلصني و كفى، هذا ليس وقت المزاح.

- لست أمزح.

- حرام عليك، ألا تراني خائر القوى، هيا خلصني.

- و كم الثمن؟

- خمسة آلاف دينار.

إندهش "حمدان" و قال: آه!خمسة آلاف دينار، و من أين آتيك بها؟

- قلت لك يا سيدي، ما هذا بوقت المُزاح.

- عندئذ قام "حمدان" و أخرج كل ما في جيبه، فلمْ يَجِدْ سِوَى بعض القطع النقدية من فئة عشرين دينار، فلما رآها النادل تأكّد أنه حقا لا يَمْلِك ثمن الفاتورة، فانصرف مُسرعا إلى صاحب المرقص، و تمْتمَ في أذنه، فاختفى بعد ذلك صاحب المرقص بسرعة البرق، و ما هي إلا دقائق حتى انفتح أحد الأبواب و أقبل أربعة رجال كأنهم الجبال، مفتُولي العضلات، مَحْلوقي الرؤوس، و تُغَطّي عُيونَهم نظارات سوداء، و على وجوههم تبدو سِمات البطش، فتقدَّم أحدهم إلى "حمدان" و وضع يده على كتفه و قال : هات الخمسة آلاف دينار و عُدْ سالما، فردّ "حمدان" و قد امتلك قلبه الفزع، و راحتْ تصطكُّ أسنانُه من شدة الخوف قائلا: صَدِّقني يا سيدي ما عندي، و ما كنت أعلم أن بعض اللُّقم غالية عندكم إلى هذا الحد.

- لآخر مرة أقول لك فيها: هات الدراهم.

- و الله ما عندي.

لما مَلّ الرجل منه، هَوَى عليه و أمسكه و حمله بين ساعديه، و ألقى به في وسط الرجال الثلاثة، فانهالوا عليه باللّكّم و الرّكل دون أدنى شفقة، و لمّا غاب عن وَعيه، حَملوه و ألقوا به على الرصيف و تركوه يسبح في دمائه، ثم انصرفوا إلى النوم قريري العين، فقد جاء النهار، ليلـــــهم!

** الـــــــــــــــــــلـّـعُوب **

من وراء جَبَلِ الضّباب عنـــَّتْ
غادةٌ ...
تفوحُ عنْبرًا مُفتـَتـّتْ
مِنْ على أكْتافِهَا
ليْلٌ طويلٌ يتدَلـــّى
تعبثُ بهِ النّسيْمَاتْ
وَ يرمـْــشِيهَا ...
رِمَاحٌ يا رفاقِي
طَاعِنةٌ مُهْجَةَ الرّائِحِ وَ الآتْ
فِي ثَنَايَا مُقلتيْهَا
زَمْهَرِيرٌ
حَارِقٌ للقلبِ و الفُؤَادِ و الذّاتْ

استَقامَتْ ...

بَيْنَ زُحْمَةِ الحَيَارَى

شامِخَةً

في السَّمَا كَسُنبلةٍ

بين عُشبٍ و زُهورٍ و نباتاتْ

فرَمَتْ هَذَا بسَهْمٍ مِنْ جُفونٍ

مِنْ وَرَاءِ نَظرَاتٍ قاتِلاتْ

و سَقتْ ذَاكَ مَرارَةَ الهيامِ

بشِفاهٍ حَالِمَاتٍ عَسلِيَّاتْ

ثُمَّ مَالتْ

و تَمَايَلتْ بغُنْجٍ و دَلالٍ

فتطايَرَتْ ...

بَعيدًا وَ بَعِيدًا

مِنْ دُجَاهَا السُّودِ خصَلاتْ

ابتَسَمَتْ ابْتِسَامَ الكِبرياء

ثُمَّ مَضَتْ

بَعْدَمَا أخرجَتَ الأحْدَاقَ مِنْ كُلِّ العُيُون

وَ قُلوبًا و قُلوبًا ...

بَينَ يَدَيْها وُضِعَتْ

هرْوَلَتْ و هرْوَلَتْ

ثُمَّ التَفَتَتْ

ببُرودَةٍ ضَحِكَتْ

غيْر مُباليةٍ بمُعْجبيها

وَ توَارَتْ ...

** دمُوع اليتيم **

لا زلتُ أذكرُ تلك الدّموع الصافية التي كانت تتهاوى من عينيك يا أختاه، و تلك الغَصّاتُ التي كانت تخنقك في يوم ما و في زمن ما و في مكان ما.

لستُ أنسى تلك العبَرات السّاخنة التي كانت تفيض من عينيك فتنسكبُ على وجنتيك لتغسل بقايا جُرح طَبَعَهُ القَدَرُ على قلبك منذ أن لفَظَكِ إلى الوجود، و تذبح قلبي بخِنْجر أكلَ طرفَيْه الصَّدأ.

تلك العَبَرات كانت تُحرِّك في ذاتي مشاعرا مُلوّنة، تمُدُّ بي و تجزر، ثم تقذفني إلى جزيرة الألم، و رغم ذلك تبقى تلك الحادثة مَحَطّة جميلة من محطّات حياتي، ما غاضني هو أنه فاتني أن ألتقط لكِ صورة تذكارية في تلك اللحظة، و لو فعلتُ لكانت صورتك أجمل لوحة فنية على الإطلاق.

كانت تلك الدموع يا صَاحِ دُموع إحدى الزميلات عندما كُنَّا طلبة على مقاعد الدراسة في القسم النهائي، تلك الفتاة التي لم أكن أعرف عنها سِوى بعض الملامح التي تنِمُّ عن طِيبَة قلب و نقاء سريرة، بالإضافة إلى كَوْنها يتيمة الأب، لكن كلُّها التفاؤل و الأمل، مُرهَفَةُ الحِسِّ، مُثابِرة و سَوِيَّةُ الشمائل، و على شفتيها دومًا ترقص ابتسامة لطيفة، و كانت علاقتي بها علاقة أخوّة، حَالُها حالُ باقي الزّميلات في القسم، يجمعنا القلم و تربطنا الصداقة و المَوَدّة، و قاسِمُنا المشترك هو المثابرة، و مَبْلَغُ همِّنا النّجاح.

و كما جَرَت العادة في أواخر كل عام، رُحْنا نخطُّ على صفحات دفاتر بعضنا البعض عبارات جميلة للذكرى، و لِشقِّ ظلمة النسيان من حين لآخر بتلك الحروف التي نُدوِّنها بحِبْرِ قلوب بريئة طيبة، كما يشقُّ وَميضُ البرق دُجى الليل، و عندما جاء دوري لكتابة كلمات تُذكِّرُ تلك الزميلة

بطـَيْفي، طلبتْ مني ذلك، ثم أعطتني كُرّاستها، فأخذتُها معي إلى المنزل و رُحت أبحث لها بين طيّات الليل و تحت أشعة القمر عن كلماتٍ تُناسبها ، و حروف أنقشها على قلبها، أبَدَ الدهر، و بعدما دوّنتُ المقدمة كتبت لها بِخَطٍّ تعمَّدتُ التفنُّنَ فيه : كما يطيب لي أن أهدي لك هذه الكلمات:

عشْتُ صِبايَا، و أنا أفـتَقِدُ الحَنانْ

عِشتُ يتيمًا أثقلتْ كاهِلَهُ الأحْزانْ

رأيتُ مِنْ العذابِ ما لمْ يَرَاهُ إنسانْ

تجرّعتُ كؤوسَ الذلّ و المَهانةِ و الهَوانْ

فلوْلا صَدْرُ أمّي المُغدَق عَليَّ بالأمانْ

لَمِتُّ أو جُنِنْتُ مِنْ هذا الزّمانْ

صاح، ما أنا ورْدةٌ في ظِلّ رَوْضٍ و جنانْ

ما أنا ريمٌ تناجيهِ الفَلا

و لا قيثارةٌ تعزفُ أشْجَى الألْحَانْ

بلْ سِوى رَمادٌ يتَرامى فِي كلِّ مَكانْ
أرْقبُ الرِّفقَ من الرّحمانْ
مَوْلانا ذو الجُودِ و المَنانْ.

بعد ذلك ختمتُ السطور التي خططتُها لها ببعض الحِكم، و الكلمات اللطيفة المعبّرة عن تمنياتي لها بمَوْفور السعادة.

و لما جاء الغدُ دفعتُ لها كراستها قبل دخول الأستاذ إلى القسم فشكرتني بعبارات جميلة.

و بعدما مرّت ساعتان إلا قليلا من زمن الدرس رنّ الجرَس مُعلنا عن فترة الراحة، فأذِن لنا الأستاذ بالخروج من القاعة من أجل الاستمتاع لبعض الوقت بهواءٍ خالٍ من دقائِق الطباشير، أو للذهاب إلى النادي لشرب فنجان قهوة أو تناول بعض الحلويات.

و لما همَمْت بالخروج كباقي زملائي، لفت انتباهي أحد الرّفاق إلى تلك الزميلة التي دفعتُ لها كراسة الذكريات في

الصباح، لقد بقيتْ جامدة في مكانها، ضاغطةً على صدغيْها بيديها، مُحدّقة إلى الكراسة الموضوعة على طاولتها، فاستغربتُ للأمر، كوْني عهدْتُها من السبّاقين إلى النادي لتناول حلويات البقلاوة اللذيذة، فجرَّني الفضول لمعرفة سبب بقائها وحيدة كذلك فتقدمتُ إليها، و لقد تعمَّدتُ لفْتَ انتباهها بحركات مُعيَّنَة، لكنها بقيتْ ضاغطة على صدغيها براحتيها.
تأملتُ جيدا في كراستها المفتوحة أمامها فوجدتُ الدموع قد مَحَتْ بعض السطور الزرقاء التي دونتها لها ، فانحنيت قليلا و حدَّقتُ جيدا في وجهها، فإذا بوجنتيها قد خطَّتْ عليهما العَبَرات سُطورا واضحة، و كأنها مَجَارٍ في أرض اجتازها السَّيْل، فأدركت أنني السبب، و أنني قد أذنبتُ في حقها ذنبا ما له نظير، و تيقنْتُ أن تلك الكلمات التي كتبْتها كي تبقى ذكرى لها، قد طوَّقتْ قلبها الهشّ، و اعتصرته كالليمونة.
حاولتُ أن أكلمها فناديتها باسمها لكنها لم ترفع رأسها، و لم

تتبس بكلمة واحدة. يا الله ما هذه المعضلة؟. و لما يئست خرجت و اتجهت صوب النادي،فأحضرت لها قليلا من الحلويات التي تحبها، ثم عُدت مسرعا، فوضعت تلك الحلويات على طاولتها،و جلست قبالتها ألاطفها تارةً،و تارة أحاول إضحاكها، و في آخر المطاف و بعد جُهد جهيد، رفعت رأسها و رنَتْ إليّ جيدا. كانت مقلتاها تسبحان في الدموع، و مآقِيها كأنها ينابيع لا تجفّ، و جُفونها كنخْلاتٍ بات يتهاوى عليها الوابل، ثم رسمتْ على شفتيها ابتسامة جميلة تلألأت على ثغرها و كأنها أشعة نور مازجَتْ رذاذًا خافتا في ليلة مُقمرة، ثم انسكبت على مياه بحيرة لطيفة النسائم.

تنفستُ إذ ذاك الصعداء، و حمدت الله على تحوُّل تلك الدموع إلى ابتسام، سبحان مغيِّر الأحوال!!. بعدئذ اعتذرتُ لها على قسْوتي و تَمَرُّغِي في جرحها دون استئذان، لكنهَا ردّت عليّ

بكلمات لا زلت أذكرها جيدا قائلة: "بالعكس، أجمل ذكرى، أحلى ذكرى" ، فحمدتُ الله ثانية و ودعتها و انصرفت مُسرعا إلى النادي لالتِهام بعض الحلويات عَسَاها تطرد عني تلك المرارة التي اجتاحت حَلقي في تلك الدقائق التي قضيتها رفقة الزميلة، و رغم ذلك فقدْ بقيتْ تلك اللحظات من حياتي مكتوبة بماء الذهب في ذاكرتي، و طَعم تلك الدموع لا يزال راسِيًا في مُهجتي.

يا أختاه: قد أمرُّ عليك في يوم ما كسَائِر العابرين، و لا أنتبه إليك، رُبّما لأن الأيام قد تُنسيني ملامحك، لكن إن أعطيتني الفرصة لأحَمْلِقَ جيدا في عينيك فإنني حَتمًا سأعرفك، لأن عينيك هُمَا مَنْهَلُ الدموع التي جعلتني أكتب، و ربما هي التي أوْحَتْ إليَّ أنه بإمكاني أن أدَغْدِغ بكلماتي عواطف الناس، و أحرِّك بريشتي أوتَار صدورهم.

اليومَ، و قد مرّتْ أكثر من عشر سنوات على تلك الحادثة، لكنني لازلتُ أرى صَفاء تلك الدموع، و أتلمَّس صِدقها و أحِسُّ بوَقعِها. اعذريني يا أُخيَّة، فأنا لا أكتب عنك و عن دموعك لأذكِّرَكِ، فأزيدك إيلاما، بل لأذكِّر نفسي، و أذكِّر الناس على مرِّ العصور، بذاك الوقع الهادئ لعبَراتك على صفحات قلبي، و التي نقشتْ عليه طلاسمًا مُبهمة، فحاولت و اجتهدتُ حتى ترجمتُها إلى هذه الكلمات التي سوف تقرئينها إن شاء الله و أنا متأكدٌ أنك هذه المرة لن تُبلّلي كلماتي بدموعك كما فعلتِ في المرة الأولى، بل ستزيدينها إشراقا بابتسامتك المَعهودَة، خاصّة ً إذا كانت الابتسامة ابتسامة أمٍّ تحمل في صدرها الرحمة و الرّفق و الحُنوّ، ذاك ما حملتْهُ إليّ الألسنة، نعمْ لقد أخبروني أنك أصبحْتِ أمًّا ففرحتُ لكِ أوَجَّ الفرح، فهنيئا لك بالأمومة و دامت السعادة و العافية رفاقا لك، و الســـــــــــــــــــلام.

** الأنـــّةُ الأخيرة **

ها قد اجتاحتْنا مثل الطوفــــــــــان...

يقولون لقد اجتاحتنا الثقافة الغربية كما يسمُّونها، لكن ما اجتاحنا حقا ليس بالثقافة الحقيقية، و لا التطور في ميدان العلم و التكنولوجيا، بل النـّتانة الغربية !نعمْ إنها التّتانَة في ثوب الثقافة !

تلك التي غمَرتْنا و سحَرتنا فعشقناها كما نعشق أريج الورود، مُتعامين عن أشواكها، ضاربين عَرْض الحائط بثقافتنا الأصيلة و مَبادِئِنا و قيمنا. لقد صَدَّرُوها إلينا في ثوبٍ جميل، كَمَنْ يمدُّك بالسُمّ في كؤوس فضّية لمّاعة،فغرّتنا المظاهر و رُحْنا نركض خلفَها لاهِثين إلى أن تجرّعْنَا كل ما فِي تلك الكؤوس إلا قليلا، فضعُف و تزعزع كيان الأمة الإسلامية حتى كاد ينهار كليا.

لقد كان ما استهدفوه فينا هو أخلاقنا، و الأخلاق هي العمود الفقري للأمة، و في هذا الصدد يَحْضُرني قول أمير الشعراء:

إنما الأممُ الأخلاق ما بقيتْ*** فإن هُم ذهبت أخلاقهم ذهبُوا

و قول الله تعالى في نبيّه الكريم، أعظم رجل عرفه التاريخ، عليه أحلى صلاة و أزكى تسليم: "و إنك لعَلَى خُلُق عظيم"

و قبل أن يصِلوا إلى أخلاقنا نصبُوا شِباكهم للمرأة،علمًا منهم بعاطفيتها و ضُعفها، فزيّنوا لها حياة اللهو و الترف عن طريق الفضائيات الكثيرة، فحبّبُوا إلى نفسها الغناء و الرقص و التبرّج و حتى الخلاعة، و فرضوا عليها بطـُرقٍ مُلتوية مَلابسًا مُنافية لعاداتنا و تقاليدنا، بحُجّة التماشي مع العصر، و أصبحوا حتى يَسْخرون مِن المرأة المستورة متّهمين إياها بالرّجعية و التخلف.

لقد دغدغُوا عَواطف المرأة العربية و جَرّدوها من لِباسها المَفروض عليها شَرْعًا، فبعدما كانت ترتدي المُلاءة و الجِلباب اللذان يقينها من ألسِنَةِ النّاس و ألسنَةِ نِيران الآخرة، أصبحت ترتدي السراويل المُلاصقة لِجِلْدها، و القمصان المزخرفة التي لا تزيدها سِوى جاذبية و إغراءً -أستثني من رحم ربي – ثم دعوها إلى الاختلاط في التّمدْرُس و العمل باسم المساواة بينها و بين الرجل، و باسم التحرّر من قيوده كما زيّنوا لها الاختلاء بعرْض الأفلام الرُومانسية، المذوِّبة للقلوب ، و قرّبوا إليها سُبل و فنيات المتعة المحرّمة، فأصبحت الثنائيات تسِيرُ علنًا و دون حياءٍ باسم التفتّح !

ثم أدخلوها إلى عالم المُجون و الرقص باسم الفنّ و إيصال الرسالة النبيلة لكن في الحقيقة ما ذاك بالفنّ بل هو العَفَنُ في حدّ ذاته.

أيُّ فنٍّ هذا الذي تشارك فيه المرأة المسلمة في عرْض جَسَدها و كأنه سِلعة تُساوَم و تباع و تشترى، أيّ فن هذا الذي يجعل بعض النساء العربيات ، يشاركن في مسابقات العَفَنْ!

فتسمع:أحسن عارضة أزياء لِموسم...،أحسن راقصة لعام...، ملكة الجمال لعام...

يا سلام، لقد أصبحت المرأة العربية شبيهةً إلى حدّ بعيد بالمرأة الغربية، تُنَقِّطُ على فنّيَاتِ هَزّ الخَصْر،و حجم و شكل الصَّدر، و لون و تسريحة الشَّعْر،بعدما كانت بالأمس مَضْرب المَثَل في الصبر و غيره من أنبل الشمائـــــِل.

أين أنت يا زوجة"أيوب"التي باعت ضفائرها لتُطعِم زوجها،بعدما ضاقتْ بها كُل سُبل الاسترزاق المشروع، ذلك قامت به فقط لِنَيْل رِضَا بَعْلِها و بالتالي إرضاء الله سبحانه و تعالى، و أين أنتِ يا آسيا بنت حُزام زوجةُ فرعون التي

كانت تعبد الله سِرًّا خِشْيَةً من زوجها ، و كانت لا تُنجب فصبرتْ و تضرّعت إلى الله بقلب مَلِيءٍ بالإيمان فعوّض الله حِرمانها بطفلٍ خيْرٍ من الإبن فتربّى في حُضنها أحد أنبياء الله، إنه سيدنا موسى -عليه السلام-.

و أين أنت يا خديجة بنت خويلد زوج أعظم خلق الله، سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، و التي كان النبي يَمْدَحُها دون نسائه. عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة ، فيُحسِن الثناء عليها، فذكرها يوما من الأيام ، فأخذتني الغَيْرَةُ، فقلت: هل كانت إلا عجوزا قد أبْدَلَكَ الله خيرًا منها ، فغضب النبي صلى الله عليه و سلم، ثم قال:"لا والله ما أبْدلني خيرًا منها. آمنتْ إذْ كَفَر الناس، و صدّقتني إذ كذبني الناس و واسَتْني بمالِهَا إذ حَرَمنِي النّاس، و رزقني منها الله الوَلَد دون غيرها من النساء".

و أين أنتِ يا سُبيْعة الغامدية التي اعترفتْ بذنبها، و ألحّتْ

على طلب جزاء خطيئتها، فَأقيمَ عليها الحَدُّ، و قال فيها الرسول العظيم محمد عليه الصلاة و السلام: " و الله إنها تابت تَوبةً لوْ وُزِّعت على أهل الأرض لوَسِعَتْهُم".

و أين أنت يا رابعة العدوية، الصُّوفية الشهيرة و صاحبة أشعار الحب الإلهي،التي كفَّنَتْهَا خادمتها عندما ماتت في جُبَّة كانت تقوم بها الليل و أين أنت يا نُتيلة بنت خُباب التي كسَتْ البيت الحرام بالدّيباج و الحرير وفاءً بنذرها عندما وجدتْ ابنها الذي ضاع منها .

و أمثلةُ أولئك النساء العظيمات كثيرٌ، كفاطمة بنت محمد، و مُصوِّبة خطأ عمر ابن الخطاب التي قال فيها : أخطأ عمر و أصابت امرأة ، و العجوز المتكلّمة بالقرآن، و خولة بنت الأزور......و غيرهن.

كما لا أنسى المرأة الجزائرية التي صنعت الرجال أمثال بن

بولعيد و عميروش، الذين بدَوْرهِم صنعوا المَجْدَ و الحرية، و نقشوا أسماءهم في ذاكرة الشعوب، و كتبوها بحُروف من ذهب في سجل التاريخ.

تلك المرأة كانت بسيطة و أمِّية، و لم يكن لها الحظ كي تطلب العِلم في المدارس، نظرا لبطش الاستعمار و قهْرهِ للشعب الجزائري و حِرمانه من حقوقه الإنسانية، قد تعلَّمتْ في مدرسة الحياة، فصقَلت فيها هذه الأخيرة شَتَّى القِيم العالية التي حَثّ عليها دينُنا الحنيف من حياءٍ و احترام و طاعة، إلى غير ذلك...، فكانت تُربّي الأبناء و ترعاهم، و تعجن الخبز و تطهي الطعام و تخيط الملابس و تُمَرِّض الجَرحى من المجاهدين، و تقوم ببعض الأعمال الشاقة، عند غياب الرجل مثل الزرع و الحصاد و جنْي الثمار، و تحْملُ حتى السلاح. هكذا كانت تلك المرأة العظيمة صانعة الرجال أصحاب المجد، و لم تكن مَلكَة جمال أو عارضة أزيــــــاء

أو راقصة،و لم تكن خبيرة تجميل بل كانت خبيرة في الحياة.
لقد أدَّتْ دورها كامرأة حقا، فكانت خير عَضُدٍ مُعين للرجل، ليس مثل نساء اليوم - أستثني دوما من رحم ربّي- اللواتي ينصرفن إلى مشاغل و أعمال غير مُهمّتهن الحقيقية المتمثلة في بناء الأسرة و رعاية الزوج و مَنْحِهِ الراحة و توفير مُسبِّبَاتها، و خلق الظروف المُواتية لِنُموّ الأبناء و تربيتهم تربية صحيحة على أسُسٍ إسلامية بحْتة،و غرْس بذرة الخير فيهم،من أجل تكوين جيلٍ يُعتمَد عليه، لا جيلٍ فتَيَاتُهُ يتسكّعْنَ في الشوارع مُرتديات ألبسةً مُخجلة ناسياتٍ قوله تعالى:
" و قرْنَ في بيوتكنّ، و لا تبرَّجْن تبرّجَ الجاهلية الأولى"، و فِتْيانٍ ينبُذون العمل ، و يتزيّنُون بالأقراط، و يتفنّنون في حِلاقة شُعورهم و أذقانهم بِرَسْم أشكال مُختلفة على رؤوسهم و وُجوههم، و شُغلهم الشاغل هو مُعاكسة الفتيات صباحا مساءً، أولئك اللواتي اجتاحتْهُنّ ثقافة السروال!!و لا أتكلم

عن شاطئ البحر خاصة في فصل الصيف، فباختصار أقول:
أنك إنْ ذهبتَ ستجدُ نفسك وسط الجاهلية الأولى!
و كثرتْ العلاقاتْ اللامشروعة بين الجنسين باسم الحب، و التي تؤدِّي في آخر المطاف إلى ما هو غَيْرُ مُتوَقّع خاصة بالنسبة للمرأة و التي تكون عموما هي الضحية، فيكون مصيرها الشارع أو أماكن خاصة باللهو و المجون، فتنغمس في مستنقع الكحول و الضياع، و ذاك هو الجَحِيمُ ذاتُه.
أما الشبان فَيجِدُون أوْكار المُجون مفتوحةً أمامهم، فيختلفون إليها لإشباع غرائزهم الفطرية، و بالتالي يعزفون عن الزواج و يذرُون العَفِيفات يتخبَّطن بين مخالب العُنوسة !إذن هكذا داهمتْنا النَّتَانةُ الغربية، و غَزَتْنَا،ثم توغَّلت إلى أعماقنا، و زلزلتنا في صَمِيمنا، في أخلاقنا عن طريق الفتاة العربية التي فُطِرتْ على الإسلام، أمّ المستقبل التي اختصر أحمد شوقي فَضْلَ إعدادها في قوله:

الأمّ مدرسةٌ إن أعددتَها *** أعددتَ شعبًا طيّب الأعراق

إن المرأة كرّمها الله، و جَعَلها جوهرةً نفيسةً مَلفوفةً في حِجابها أو جلبابها، و أعطاها كل حقوقها، و هي واردة في مُعظم الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة، و وضعَ في يدها مِصباحا هو سورة النور،لكن غرّها النمط المعيشي الغربي المُنافي لِعاداتنا،فرَمَتْ بحجَابِها ومِصباحها،وأظهرتْ زينَتَها مُقلّدةً المُشركين تقليدًا أعمى، فتطايرت إليها دقائق غُبارهِم فأعْمَت عينيها ثم التفّت حولها الحشرات والخنازير! فنهشوا لحمَها الذي كان طاهرًا و تركوا ما تبقى منه للغربان. و هكذا ضَعُفَتْ، و يضْعُفهَا ضَعُفَ النّشْءُ ، و ماتتْ هِمَمُه و اتّبع هَوَاهُ، و أهمل كتاب الله و سنة المصطفى عليه الصلاة و السلام، و انصرفت إلى اللّهو و التّرف و إلى الكُحول و المُخدرات و عالَم الأخدان.

هكذا ضَربَنا الغربيون في الصّميم، و في عُقر دارنا عن

طريق المرأة عِمادُ الأسرة و عصب المجتمع، و هم على دِرايةٍ تامة أن تمَسُّكها بتعاليم دينِنا الحنيف يعني بناءُ مُجتمع مُتماسكٍ و مُتلاحم، و ذاك فِعلاً مَنبعُ القوة و الازدهار، و هم - كما تعلمون – لا يَرُوق لهم أن نكون أقوياء و متطوّرين، بل يُريدون أن نكون دَوْمًا عَبيدَهم، و تابعيهم فِي كلّ الميادين.

***

أيّتها الفتاة العربية: إن الإسلام كرّمكِ و أعطاك كل حقوقك، و نَهَاكِ عمّا فيه ضُرٌّ لك و لأمّتِك، و هذا حالُ دِينِنَا الحَنيف، لا يأمُرُنا إلا بما فيه خَيْرٌ لنا و لا ينهانا إلاّ عَمّا فيه شَرٌّ لنا، و لقد وضّح لك واجباتك نحو الأسرة و المجتمع، و حُقوقك كأمّ و زوجة و أخت،...الخ، فلا تغُرّنك النواميسُ التي وضَعتْها أيدي البشر حَسْبَ أهْوائِهم، و لا تنخدعي بالمظاهر فهي السَّبيل إلى قعْر الهاوية.

إنكِ بمَثابةِ الشّريان الذي يَصُبّ الدماء في جَسد الأمَّة، فيكسبُها الحياة، فكوني يَقِظة ً و لا تتركي النّتانة الغربية تتسرّبُ إليك، فتنفذ ُ إلى تلك الدّماء الصافية و تُعكّرها، و بالتالي يَنْتَنُ جَسدُ أمَّتِك و يخبثُ، ثم ينهار شيئا فشيئا حتى يسقط كليا، فلتكوني مثل الحارس الذي يُقاوم سُلطان النعاس، و يكافح تثاقل رُمُوشِه عليه ، فلا يَغْمَضُ لهُ جَفن و لا تنام له عَيْنٌ من أجل حِماية غيره.

كوني حريصة ً على تطبيق تعاليم دينك التي أمرَ بها ربّك، لا على اقتناء مَسَاحيق تطلّين بها وجهك.

كوني كالنّحلة التي تصنع شهدة ً حُلوة َ المَذاق، أو كالنَّخلة الشامخة التي تبقى دومًا صامدة في وجه الرِّياح العاتية لِتمُدّنا بأحلى الثمار، و لا تكوني مثل البُومة التي تحمل الشؤم على مَرِّ العُصور أو كالسِّدرة التي لا تُثمر غير أشواك تلدغ ُ الأصـــــــــــابع !!

** كلِمـــــاتٌ خِتــامية **

مثلما يَهْوَى العَنقاءُ الخُروجَ

منْ رَمـــــادِ

مِثلَمَا يَهْوى العُصنفورُ السَّكَرَا

بنَسَائِمِ الصَّبَاح ...

و التّرَنّمَ بألحانِهِ فوْقَ فرْعِهِ المَيّادِ

مِثلمَا تعْشقُ غزلانُ الفيَافِي

الرّكْضَ فِي الوهَـــــادِ

و كَمَا يَهيمُ يَرَاعِي بزُرْقةِ المِدَادِ

أعْشقكِ يا بــــِلادِي

يَـــــا أرْضَ الأجْدادِ.

** الفهرس **

حدثني بدر السَما قال:
بالوَرَق..
يُمْكِنكَ أنْ تشْتَري مَنزلاً رُخاميًا
أوْ تقْطفَ أزهارًا مُعطّرة الرّيّا
وتُسَافر في الأفقِ البَعيد
مُمْتطيًا ..
جَوادَكَ ذو الأجْنِحة الصَفراءْ
بَاحثًا عَن أسْرَار نجْم الثّريّا
بالنقودِ..
يُمكنُك أنْ تهزِمَ مَلِكَ الغَاب
وتخُضَ في العَاصِفَة العُبابْ
يُمكنُك أنْ تبتَاع بَرَاقِعًا تُوَارِي
بها قَبيح المُحيّا
أَو تُغْري صَبيَة غِرّة
تَمتَلكُ قلبًا صغِيرًا طريًا
لكن يستحيلُ عليكَ أنْ تَبْتَاع قَلبًا
فُتِحتْ أبوَابُهُ لِغَيركَ
أوْ ضَمِيرًا صَافيًا نقيًا.

مع تحياتي
"علي"



رقم الإيدا
ر د م ك: 97





للطباعة و النشر و التوزيع